إشكالية الاضطهاد في رواية "جاهلية" لليلى الجهني (دراسة تحليلية للبنية السردية)

د. سناء طاهر الجمالي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
بجامعة السلطان قابوس
aljamalisana@gmail.com

المستخلص

اختارت الباحثة رواية "جاهلية" للكاتبة السعودية ليلى الجهني، لتناولها موضوعًا حسّاسًا، وهو موضوع الاضطهاد الذي تتعرَّض له بعض الفئات في المجتمعات العربية الحديثة، وقد طبقت الدراسة الاتجاهات النقدية الآتية: النقد الثقافي المرتبط بقضية النِّسوية والإثنيَّة، ونظريات الخطاب السردي لجيرار جنيت، إضافةً إلى نظريَّة تعدُّد الأصوات لميخائيل باختين. وقُسِّم البحث إلى مقدمة، تحتوي على تعريف بالمنهج النقدي، الذي اتبعته -الدراسة- في تحليل النص الروائي، وملخص للرواية، ثم تحليل مضمون الرواية من خلال بنائها السردي من الناحية الفنية، لتوضيح مفهوم ثيمة الاضطهاد في النص الأدبي؛ وينقسم هذا الجزء، وهو الأخير في الدراسة - المرتبط بتحليل الرواية - إلى قسمين: الأول: يُعنى بدراسة العتبات المحيطة بالنص الروائي والاقتباسات التراثية والأدبية والإخبارية في الرواية. والثاني: يُعني بدراسة مفهوم الاضطهاد، عن طريق مناقشته من خلال العلاقات التي تربط الشخصيات السردية ببعضها في النص الروائي. وتنتهي الدراسة بخاتمة تورد النتائج التي توصلت إليها، وهي الآتية: ترابط عتبات النص الروائي ببعضها وتوافقها من حيث المضمون مع الاقتباسات المختلفة الواردة في الرواية، توافق البنية السردية في الرواية مع بعضها من حيث بناؤها الفني، تمكّن كل شخصية سردية من تصوير الفكرة التي تؤمن بها، تأكيد استقلالية الشخصيات السردية في رواية "جاهلية" بعوالمها المتنوّعة من تحكّم المؤلفة، تأكيد استمرارية الجاهلية الأخلاقية والفكرية في عصرنا؛ بسبب انتشار مفاهيم اجتماعية منافية للفكر الإنساني والديني في بعض مجتمعاتنا العربية.

الكلمات المفتاحية: الإثنية، الشخصية السردية، الاضطهاد، عتبة، النِّسويّة.

ـ المقدمة:

تتناول هذه الدراسة نصًّا روائيًّا يناقش موضوعًا اجتماعيًّا مُهمًّا في المجتمعات العربية، وهو موضوع الاضطهاد، الذي تتعرَّض له بعض الفئات دون غيرها، في المجتمعات المذكورة، مثل: النساء، والأقليات الإثنية. فقضية الاضطهاد لفئات معينة في المجتمعات العربية المختلفة، تعدّ قضية شديدة الحساسية، لانتشار هذه الظاهرة التي- في أحيان كثيرة - يغضّ البصر عنها، بوصفها أمرًا عاديًّا لتكرره من قبل شريحة واسعة من الناس في المجتمع؛ ولا سيَّما أنَّ المجتمعات العربية في غالبيتها تؤمن بنظامّي: القبيلة، والأبوي/ة؛ اللذين يمكن عدّهما من أهم العوامل المؤدّية إلى انتشار هذه الظاهرة؛ لإعلائهما سلطة الرجل/ الذكر على أيِّ سلطة أخرى، ولفئة معينة - تحديدًا - من الرجال، وهي الفئة المالكة لسلطة اجتماعية متميِّزة يحترمها ويجلّها المجتمع (الحيدري،2003: 255- 271؛ الرشيدي، 2016: 328/ 332). وقد تناولت عدة دراسات هذه الرواية منها: "سرد المدن: (في الرواية والسينما)" لسعد البازعي (2009)، "مدينة الحياة: (جدل الفضاء الثقافي للرواية في السعودية)" لمحمد العباس (2009)، "الدولة الأكثر ذكوريّة: (المرأة بين السياسة والدين في السعودية)" لمضاوي الرشيد (2016)، "النص والنص الموازي: (قراءة في رواية جاهلية لليلى

الجهني)" لحسن حجاب الحازمي (2018). وقد أفادت هذه الدراسة من الدراسات المذكورة آنفًا، لأنها درست البناء السردي من الناحية الفنية لرواية "جاهلية" وربطته بالمضمون الاجتماعي المعبّر عنه في الرواية؛ وقد اهتمت هذه الدراسة بالتطرق للمحورين المذكورين - بناء الرواية السردي والمضمون الاجتماعي المتناول من قبلها - بأسلوب أعمق، مستفيدة من الدراسات المذكورة؛ ومضيفة - هذه الدراسة - وجهة نظرها الفنية في التركيب السردي "لجاهلية"، ولكيفية مناقشتها قضية الاضطهاد الجندري والإثني من خلال بنيتها السردية.

تحمل كاتبة الرواية، ليلى الجهني، درجة الدكتوراه من جامعة طيبة في المدينة المنورة التي تعمل بها، وهي من مواليد عام (1969)؛ وقد صدرت لها الأعمال الآتية: رواية "الفردوس اليباب" الصادرة في عام (1998) والفائزة بجائزة الشارقة للإبداع في عام (1997)، ورواية "جاهلية" الصادرة في عام (2007)، وكتاب تأمُّلي أقرب إلى السيرة الذاتية بعنوان "أربعون: في معنى أن أكبر" الصادر في عام (2009) (الحازمي، 2018: ن).

- مشكلة البحث:

يُسلِّط البحث من خلال تناوله لرواية الجهني، "جاهلية"، الضَّوء على فئتين في المجتمع، وهما فئة النساء، وفئة مَن ينتمون إلى أصول مختلفة عن بقية أهل البلاد، أيْ الوافدين إليها ممَّن اتَّخذوها وطنًا ثانيًا لهم، وخاصةً أولئك الذين ينتمون إلى الأصول الإفريقية من ذوي البشرة الداكنة، من خلال قصة حب؛ وقد ركّزت الرواية على هاتين الفئتين، من حيث وجودهما في ذلك المجتمع المتّسم بالانغلاق الفكري - في المرحلة الزمنية المتناولة من قبل النص الروائي - والتقيّد بالأعراف التقليدية غير المناسبة لروح العصر والدِّين، التي يمكن أن تؤدِّي إلى عدم تحقّق العدالة الاجتماعية في المجتمع بشكل مُرضٍ ومتساوٍ بين كلِّ شرائحه المتنوعة (Barker, 2004 :248/ 293).

- أهميَّة البحث:

تعدُّ رواية "جاهلية" روايةً مهمةً؛ لأنَّها تناقش قضية متَّصلة: بالعنف، والأقليات، وقمع المرأة؛ والروايات المعبِّرة عن هذه القضايا، "تصدر عن همٍّ فردي واجتماعي" (البازعي، 2020: 11)؛ ممَّا يعني أنَّ هذه الروايات المحمَّلة بقضايا جادَّة، تهدف إلى ما هو أكثر من مجرد الإمتاع، فهي محمَّلة برسالة اجتماعيَّة وإنسانيَّة، لكن هذا لا يعني أنَّها لا تحتوي على جماليات فنيَّة في بنائها السَّردي، ممَّا يحقِّق لها الهدفين، في الوقت نفسه، هدف احتوائها على العمق الإنساني والفكري لطرحها قضية مهمة، وهدف امتاعها للقارئ بمضمونها العميق، الذي قد صيغ بأسلوب فنِّي يمنحها الفرادة. وهذا متحقِّق - إلى حدٍّ كبير - في رواية "جاهلية"، ممَّا ضمن وجود قارئ نخبوي لها (البازعي، 2020: 15-13)؛ وهو ما تسعى الدراسة إلى الكشف عنه من خلال تحليل بنائها السَّردي.

- منهجية البحث:

تعالج الدراسة النص الروائي "جاهلية"، بتطبيق بعض نظريات النقد الحديث عليه، لتحليل ظاهرة الاضطهاد الناتجة عن العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل، في المجتمعات العربية التقليدية؛ "فالحب فعل غني بالإشارات، وحين يتحول إلى مادة مسرودة، يتشكل ضمن استراتيجية نصية يصعب حتى على السارد الإلمام بتشظياته، ومن الوهم انتزاع فعل الحب من حقيقة تلازمه البنيوي مع طبيعة الصراع السياسي،

والاجتماعي، والديني، والتاريخي" (العباس، 2009: 93-94)، في المجتمعات الإنسانية، وهي كلها صراعات تؤدِّي إلى نوع من أنواع الاضطهاد للأطراف الواقعة في عاطفة الحب والمؤمنة به؛ وذلك إذا ما تسببت تلك العاطفة بخلخلة النُّظم المتعارف عليها في مجتمع ما. وتفيد الدراسة في تحليلها للنص الروائي من النقد الثقافي، الذي يتخذ من الثقافة الإنسانية بكل ما تشتمل عليه، موضوعًا لبحثه، فهو لا يقتصر على الأدب فقط، وإنما يهتم بتناول النشاط المؤسسي في المجتمعات أيضًا. والنقد الثقافي يعتمد: على المناهج النقدية التقليدية، وعلى المناهج المستقاة من الاتجاهات ما بعد البنيوية (الرويلي والبازعي،2007: 305-309/306).

تتطرق الدراسة، إلى النقد النِّسوي أيضًا، الذي يعد جزءًا من النقد الثقافي، لتوضيح الصراع الدائر بين لين ومجتمعها، بسبب اختيارها العاطفي المخالف لتقاليد ذلك المجتمع؛ فالحركة النِّسوية، التي قام على أساسها النقد النِّسوي، ما هي في أصولها إلا "حركة سياسية، تهدف إلى غايات اجتماعية تتمثَّل في حقوق المرأة، وإثبات ذاتها ودورها" (الخولي،2005: 11)؛ ومن خلال النقد النِّسوي، الذي يركِّز على شخصيَّة لين في الرواية، تتطرَّق الدراسة إلى مفهوم الإثنية، وهو مرتبط - كذلك - بالنقد الثقافي، ويُناقش هذا المفهوم من خلال تحليل علاقة لين بمالك، حيث تتكشَّف حقيقة الصراع الذي تضطر بطلة الرواية - كونها امرأة - إلى خوضه مع مجتمعها، لتتمكَّن من اختيار شريك حياتها، فتزداد الضغوط الاجتماعية عليها - بسبب انتمائها الجندري - إذا وقع اختيارها على من ينتمي لعرق يُنظر إليه من قبل مجتمعها بدونية، لاعتبارات متعلِّقة بطريقة التقسيم الطبقي للأفراد المنتمين إلى ذلك المجتمع (Barker, 2004 :248-249)؛ مما يوضِّح سبب اضطهاد المجتمع لامرأة مثل لين تتبنَّى ثقافة مختلفة عن تلك السائدة في مجتمعها، ولشريكها في العاطفة النبيلة مالك، الذي يلقى المصير نفسه.

يصوِّر النص الروائي، كذلك، الصراع الدائر بين لين ومجتمعها من وجهة نظرها، إضافةً، إلى إبداء وجهات نظر متعددة - مرتبطة ببقية الشخصيات السردية في النص الروائي - فيما يتعلَّق بعلاقتها - لين - مع مالك، مثل وجهة نظر: والدها، ووالدتها، وشقيقها، ومالك نفسه؛ عن طريق تفاعل البطلة مع هذه الشخصيات السردية، ومن ثمّ يصوّر التطوّر الذي يحدث لكل شخصية سردية، وبخاصة شخصية البطلة، مما يحتم على الدراسة تطبيق نظرية تعدُّد الأصوات للناقد الروسي ميخائيل باختين (Bakhtin, 1997: 5-43)، على النص السردي؛ مع الأخذ بعناصر البناء السردي وتقنياته الفنية الواردة لدى منظّري الرواية: جيرار جنيت (Genette, 1983:25-32)، وسيمور شاتمان (Chatman,1980:15-42).

تُمثِّل كلُّ شخصية من الشخصيات السردية الموجودة في رواية "جاهلية"، وعيًا حاضًنا لفكرة ما، مكتسبةً من خلال احتكاكها - الشخصية السردية - بالمجتمع الذي تنتمي إليه؛ وتأخذ بالتطوّر من خلال تفاعلها: مع بقية الأفكار المختلفة المتنوعة، المُتبنّاة من قبل الشخصيات الأخرى في النص السردي، ومع بقية العناصر الفنية في السرد؛ بطريقة تعبِّر عن حركة الحياة المتغيِّرة بكلِّ تناقضاتها؛ وهذا أساس نظرية تعدُّد الأصوات لدى مُنظِّر جنس الرواية الشهير، باختين. فالفكرة، يجب أنْ تصطدم مع ما يختلف عنها ويناقضها ليحدث التطوّر في الشخصيَّة السرديَّة وفي الحدث السردي، كما يحدث في الحياة الواقعية، تمامًا.

- ملخص الرواية:

الرواية تناقش الاضطهاد الاجتماعي، الذي قد تتسبب قصة حب في وجوده، كما هي الحال في مناطق عدّة من العالم العربي؛ وذلك عن طريق تناولها لقصة حب ربطت بين "لين" الفتاة العربية، من أهل

المدينة المنورة، و"مالك" الشاب الإفريقي ذي البشرة الداكنة؛ الذي ولد في المدينة المنورة لوالد مهاجر، ولم يتمكَّن من الحصول على جنسية البلد الذي وُلِد ونشأ فيه، ليصبح مواطنًا رسميًّا من مواطنيها. ممَّا يعني أنَّ رواية "جاهلية"، تعدُّ رواية اجتماعية، لتناولها حكاية "لين" و"مالك"، فهي تصوِّر المعاناة التي تتعرَّض لها المرأة في مجتمعها بسبب رغبتها في اختيار شريك حياتها، وهذه الرغبة تتعارض مع تقاليد المجتمع الذي تنتمي إليه. وتكمن الإشكالية في حكاية لين ومالك، في كونه - مالك - من أصول إفريقية، ممَّا يعني اختلاف ملامحه ولون بشرته عن أهل البلد الأصليين، بطريقة تعدُّ منافية لذائقة أولئك المواطنين فيما يعدونه من مقاييس الجمال، وكذلك، فيما يعدونه أصيلا من الناحية العرقية، بما يتوافق مع مفاهيمهم الاجتماعية التقليدية؛ إضافةً، إلى عدم امتلاكه - مالك - لجنسية البلد الذي وُلد ونشأ فيه، ليظل على هامش المجتمع الذي يحيى فيه. فرواية "جاهلية"، تُعنى بمعالجة قضية الاضطهاد الاجتماعي، بشقيه: الجندري، والإثني؛ وهو اضطهاد مستمر في بعض مناطق العالم العربي.

والحدث، الذي مهَّد لبداية هذه القصة بين لين ومالك، هو طبيعة عملهما. فقد كان مالك مُهتمًّا بكتابة تحقيق صحفي عن وضع الفتيات اللواتي يهربن من بيوت أسرهن، ليلتحقن بدور الرعاية في ذلك المجتمع، نتيجة لاضطهاد تلك الأُسر لهن؛ فمالك كان يعمل صحفيًّا متعاونًا، إضافةً إلى عمله في بعض المستوصفات؛ ممَّا دفعه إلى الاتصال بإدارة دار رعاية الفتيات، ليتمكَّن من الحصول على المعلومات التي تساعده في إنهاء تحقيقه، فكان اتصاله بداية تعرّفه بلين، التي تعمل هناك (الجهني،2007: 78-80).

وتنتهي الرواية، برفض والد لين ارتباط ابنته بمالك، وهو رفض معنوي (الجهني،2007: 129-131)، ليواجه مالك بعد الرفض المعنوي، الذي وجه إليه من والد لين، برفض أعنف من شقيقها "هاشم"، عقابًا له - لمالك - على جرأته في الاقتراب من فتاة عربية؛ تمثَّل ذلك الرفض في اعتداء هاشم على مالك (الجهني،2007: 7-8/11-43/13-45)؛ ممَّا أدَّى إلى دخول مالك المستشفى، وهو في حالة غيبوبة، يصارع الموت (الجهني،2007: 11-13/55-61/69-70/75-76/96)؛ لتدرك لين أنَّها لن تتمكَّن من الاستمرار في تحدّي مجتمعها المتزمّت في أعرافه، لكونه مجتمعًا جاهليًّا في أفكاره وتقاليده، بعيدًا عن أيِّ مسحة إنسانية (الجهني،2007: 175-181).

- التحليل: عتبة النص الروائي:

فن الرواية، من الفنون السردية التي تعد: العنوان الرئيس فيها، إضافة إلى العناوين والنصوص الجانبية التي تحيط بالنص المركزي من صُلب مضمون النص الأدبي (حسين،2007: 303)؛ ولمَّا كانت تلك العناوين والنصوص الجانبية الموجودة في محيط النص الرئيس للرواية سمة من السمات الفنية المهمَّة لهذا الجنس الأدبي لدى النقاد، فلا بدَّ أنْ نوليها انتباهًا خاصًّا، مثل الانتباه الذي نوليه لعنوان النص الأدبي الرئيس، وذلك قبل ولوجنا داخل النص الروائي (حسين، 2007: 303)، لأنَّ تلك العناوين تمثِّل "بطاقة النص التعريفية" (حسين، 2007: 303). وقد أفاد هذا البحث فيما يخص هذا الجزء من الدراسة الموجودة في كتاب: "النص والنص الموازي: (قراءة في رواية جاهلية لليلى الجهني)" لحسن حجاب الحازمي؛ لأنَّها ناقشت بعمق علاقة العنوان - بمختلف أنواعه - بمضمون الحكاية في النص الروائي؛ وذلك عن طريق توضيحها - دراسة الحازمي - كيفية استخدام الكاتبة للعناوين في روايتها للدلالة على تطوُّر الحدث السردي الرئيس والشخصيات السردية ضمن ما توحي به - العناوين - من دلالات اجتماعية مسكوت عنها مع ممارستها، لكونها جزءًا من التراث الثقافي الخاص بالكثير من مناطق العالم العربي، وخاصةً منطقة شبة الجزيرة العربية، لتجذُّر المفاهيم القَبَليَّة المتَّسمة بسلطتها الذكوريَّة في الفكر الاجتماعي الخاص بتلك المناطق، ويتَّضح ذلك في طريقة تعامل الرواية مع المواضيع المرتبطة بالمرأة والآخر المختلف من الناحية الإثنية عن الغالبية الموجودة في المجتمع (ثامر، 2004: 9-10)؛ ممَّا يجعل مناقشة هذا الجزء - المرتبط بالعتبات في "جاهلية"- من دراسة الحازمي في هذا البحث مهمًّا، لأنه يمهِّد لمناقشة الجزئية الثانية الواردة في هذا البحث، وهي الجزئية الخاصة بثيمة الاضطهاد بنوعيه: الجندري والإثني، وذلك من خلال مناقشة أسلوب تصوير، الاضطهاد، في الخطاب السردي للرواية من الناحية الفنية. إضافةً إلى إشارة هذا البحث، إلى الأساليب السردية من الناحية الفنية في كلِّ عتبة من العتبات المذكورة في المتن الروائي، التي وفقت الكاتبة في استخدامها للتعبير عن أفكارها.

- العنوان الرئيس:

يعدُّ العنوان الرئيس في النص الأدبي، هو العتبة الأولى فيه، التي يجب اجتيازها بفهمها، للتمكُّن من الولوج إلى مضمون النص؛ وعنوان النص المتناول هو "جاهلية"، ولعلَّ "أول ما يلفت النظر هنا، هو ورود العنوان على شكل نكرة وليس معرفة، فبدلاً من *الجاهلية*، التي تعودنا دلالتها التاريخية والثقافية، تفقد المفردة *ال التعريف*، لتكتسب نوعًا من التعويم ... [فـ]حين تعوّم *جاهلية* نتوقع مناورة دلالية تتجه فيها المفردة إلى ما لم تعتد الاتجاه إليه، إلى حقول معرفية أو ثقافية أو اجتماعية [أخرى]، لتحولها إلى *جاهلي*" (البازعي، 2009: 72). هذا لا يعني أنَّ الكلمة قد فقدت دلالتها الأصلية المتعارف عليها في الثقافة العربية الإسلامية (البازعي، 2009: 72-73)، لكن قد يكون ذلك دليلًا على أنَّ "عنوان الرواية يمارس هيمنة أولى على النص، بلفت انتباهنا إلى جاهليات قادمة" (البازعي، 2009: 73)، فالإيحاء الذي يمنحه العنوان الرئيس في الرواية للقارئ؛ يؤدِّي إلى استثارة فضول القارئ بهدف دفعه لاستكشاف طبيعة الجاهليات التي تسود عصرنا.

- عناوين فصول الرواية:

الرواية مكوّنة من ثمانية فصول، كلُّ فصل من هذه الفصول يحمل عنوانًا؛ وتكتسب هذه العناوين أهميتها من الإشارة إلى وجود ارتباط قوي من حيث الدلالة بين النص الأدبي وما يحيط به، كما أوضحت - ذلك - الدراسات النقدية الحديثة؛ فقد مهَّد هذا الوعي النقدي الجديد لظهور "مجموعة من المقاربات النقدية الفاعلة حول علاقة العتبات والنصوص المحيطة بالنص المركزي، تحوّل معها مفهوم العتبة بالتدريج من اعتباره مكوِّنًا نصيًّا عرضيًّا ليصبح بناءً نصيًّا، له خصائصه الشكلية ووظائفه الدلالية، التي تمكّنه من إدارة جدل خلَّاق بينه وبين أبنية أخرى" (أشبهون، 2009: 27). وعناوين فصول رواية "جاهلية"، عبارة عن جُمَلٍ اسميةٍ قصيرةٍ مجازيةٍ مكثفة، تحمل دلالات غير مباشرة عن الوضع النفسي للشخصية السردية، التي يُقدم الفصل من منظورها (الحازمي، 2018: 65-66)؛ وهي - فصول الرواية - تعتمد على تقنيتي: السارد العليم المحايد غير المشارك، الضمني (خليل، 2010: 81-82)، والاسترجاع المنطلق من لحظة تنتمي إلى حاضر الشخصية (بوعزة، 2010: 88-90) في السرد، بهدف توضيح مسار أحداث الحكاية من وجهة نظر كل شخصية في النص الروائي، مما يمكِّن القارئ من الإحاطة بالحكاية المسرودة في "جاهلية". وعناوين فصول الرواية، هي الآتية:

* فصل "سماء تهوي": العنوان، يتضمَّن صورة مجازيَّة مبنيَّة على المفارقة؛ فالسماء تهوي مجازيًا، فقط، لوقوع حدث جلل، وبعد قراءتنا للفصل، الذي يُقدَّم من منظور هاشم بعد حادثة اعتدائه على مالك، ندرك أنَّ ما يوحي به العنوان هو غضب الخالق على الإنسان لتجبّره (الجهني، 2007: 7-8؛ الحازمي، 2018: 67-69).

* "لم ير ملائكة قط": هذا العنوان، يوحي بالوضع الذي آل إليه مالك بعد تعرُّضه للاعتداء من قبل هاشم؛ حيث يطالعنا في هذا الفصل وهو - مالك - ممدَّد على سرير في مستشفى، راقدًا في حالة غيبوبة؛ فمالك في وضعه ذلك لا يعدُّ حيًّا بمعنى الكلمة، لكنَّه لا يعدُّ - في الوقت نفسه - ميتًا، طالما أنَّه لم يرَ الملائكة التي تحيط بالإنسان في لحظة احتضاره، وتنتهي الرواية وهو لا يزال بهذا الوضع (الجهني، 2007: 11-13؛ الحازمي، 2018: 70-71).

* "الصمت والموت": هذا الفصل يُعْرَض من وعي هاشم، ويُمكِّن القارئ من تجميع خيوط أحداث الرواية وتتبعها، بعد أنْ كانت قد بدأت من نهايتها في أول فصلين فيها؛ ففي هذا الفصل نتعرَّف على مراحل حياة هاشم، المتَّسمة بالصخب والعبث وطبيعة علاقته بأفراد أسرته، لنستوعب أنَّ الحياة، التي كان يحياها أبعد ما تكون عن الصمت المتَّسم بالهدوء الموازي للتوقُّف عن كلِّ حركة، بمعنى آخر الموازي للموت من وجهة نظره، فكأن باختياره - هاشم - لذلك النمط من الحياة، أراد أنْ يهرب من مواجهة فشله في جميع مناحيه؛ إلَّا أنَّه يضطر في نهاية الأمر إلى مواجهة نفسه بذلك الفشل، بعد حادثة اعتدائه على مالك (الجهني، 2007: 17-45؛ الحازمي، 2018: 71-76)؛ فقد "فرَّ طويلًا من الصمت والموت، وها هو يدرك - بغتةً - أنَّهما أمامه، دائمًا. ركض معتقدًا أنَّه ينأى عنهما، ولم يدرِ أنَّهما سيكونان بانتظاره، هناك في اللحظة التي سيظن فيها أنه نجا منهما" (الجهني، 2007 :45).

* "رائحة الحزن": هذا الفصل يُعْرَض من وجهة نظر لين الحزينة على وضعها مع مالك، كما يتَّضح من خلال استرجاعها لذكريات حياتها، وطبيعة علاقتها: بأفراد أسرتها وبمالك، وبوظيفتها في دار رعاية الفتيات؛ لتكتشف أنَّها مظلومة ومقهورة، مثل كلِّ امرأة في مجتمعها، مع تميّز وضعها الثقافي والاجتماعي، ممَّا

يجعلها متساوية في كلِّ شيء مع جميع النساء في بلدها، بمختلف طبقاتهنَّ الاجتماعية، فلا يوجد تمييز لإحداهنَّ على الأخرى فيما يتعلَّق بالحصول على حقوقهن الطبيعيَّة من الناحية الإنسانيَّة؛ وذلك لتقديس المجتمع للأعراف الموضوعة من قبل المؤسسات الذكورية السائدة فيه (الجهني، 2007: 49-99؛ الحازمي، 2018: 76-79).

* "صك غفران": هذا الفصل يُعْرَض، أيضًا، من وعي لين. ومفهوم: *صك غفران*، يدل على الجنسية، التي لم يتمكَّن مالك من الحصول عليها؛ فهذا الفصل يُمثِّل "التمييز العنصري بحسب الجنسية، فإذا كانت الجاهلية تمايز بين الناس بالأنساب والأحساب، فإنَّ الجاهلية الحديثة استحدثت تمييزًا جديدًا بحسب الجنسية، يضاف إلى التمييز بحسب الأنساب" (الحازمي، 2018: 80). فبعد ثلاثة أعوام من ارتباط لين العاطفي بمالك، تكتشف أنَّه لم يحصل على الجنسيَّة، ممَّا دفعها إلى الابتعاد عنه، لكونه لم يصارحها بهذه الحقيقة منذ بداية تعارفهما، ممَّا أحدث جفوة بينهما. فعدم حصول مالك على الجنسية، يعدُّ عائقًا لا يمكن تخطيه من قبلهما - لين ومالك - في سبيل الارتباط؛ إذْ لا يسمح للمواطن من الناحية القانونية في مجتمعهما من الارتباط إلَّا بمن يحمل جنسية البلد، وإلا فإنَّه يحتاج الحصول على موافقة من الدولة لإتمام ذلك الاقتران عبر اتباع إجراءات رسمية معينة (الجهني، 2007: 103-120).

* "عطب": يُعْرَض هذا الفصل من منظور والد لين، لإيضاح طبيعة علاقته بابنته، وهي علاقة أساسها الثقة والاحترام بين الطرفين، ويوضح - في الوقت نفسه - سبب رفضه لعلاقة ابنته بمالك، المخالفة لأعراف وتقاليد المجتمع الصارمة (الجهني، 2007: 123-132)؛ فهو - الأب - برفضه لتلك العلاقة، يحاول حماية ابنته من نبذ المجتمع لها. فهذا الفصل يوحي بالخَلَل الموجود في الرؤية الجمعيَّة السائدة في المجتمع، التي لن يتمكَّن والد لين من مواجهتها لشدَّة رسوخها (الحازمي، 2018: 83)؛ ممَّا يؤكِّد أنَّ تغيير هذا العطب الموجود في ذهنيَّة الأغلبيَّة، يحتاج لإنشاء قاعدة جديدة في المجتمع تتكوَّن من عدَّة أجيال قادمة، تتَّسم بالتفتُّح الذهني الذي يمكِّنها من التخلُّص من العطب والخَلَل الموجود في ثقافة المجتمع الجَمعيَّة.

* "ما تحت اللون": والمقصود باللون هو اللون الأسود، أيْ لون بشرة مالك، الذي يُمثِّل موضوع الأزمة الأساسيَّة في علاقته بلين؛ فنتعرَّف في هذا الفصل على معاناته الحقيقة، الناتجة عن: لونه ووضعه الاجتماعي. فمشكلته تكمن في نقطتين: الأولى، كونه أسود البشرة بسبب أصوله الإفريقية؛ والثانية، كونه غير حاصل على جنسية البلد الذي وُلد ونشأ فيه (الجهني، 2007: 135-171؛ الحازمي، 2018: 86). وقد أدَّت هاتان النقطتان، إلى أنْ يعدّ مالك منبوذًا في المجتمع الذي وُجد فيه. ويُطعَّم هذا الفصل بسبعة استشهادات من التاريخ العربي والإسلامي، توضِّح نظرة المجتمع العربي الدونيّة - منذ القدم - إلى مَن ينتمي إلى طبقة مماثلة لطبقة مالك العِرْقية (الجهني، 2007: 135-136/140-141/149-150/152/156/167).

* "غوغل يهذي": يرتبط هذا الفصل بوعي لين. ومصطلح "غوغل": "يشير إلى محرك البحث عن المعلومات عبر الشبكة العالمية *الإنترنت*، وهو يُمثِّل أعلى تقنية توصَّل إليها العالم الحديث، فكأنَّه رمز للعالم الحديث ممثَّلًا في أعلى تقنياته وأحدثها" (الحازمي، 2018: 89-90)، أمَّا كلمة يهذي، وهي الكلمة الثانية التي يتكوَّن منها عنوان الفصل، فتعني الكلام غير المفهوم (الحازمي، 2018: 90)؛ والفصل يصوِّر وعي لين، الذي يعكس موقع "غوغل" عبر شاشة الحاسوب، لتُعرض على القارئ الأيام والأشهر العربية المعروفة لنا بأسمائها الحالية، متداخلة مع مسمياتها القديمة في العصر الجاهلي (الجهني، 2007: 175-178؛ الحازمي،2018: 90-91)؛ ويحدث - كذلك - تداخل بين أبيات الشعر العربي القديم المعبِّرة عن معنى الجهل والظلمة المعنوية مع الأحداث السياسية الحاصلة في العراق - آنذاك - في عام (2003)، الذي يتحدَّد بذكره

زمن الحكاية في رواية "جاهلية"؛ ممَّا يرمز إلى انهزام الإنسان العربي على الأصعدة كلِّها: السياسية، والاجتماعية، والثقافية (الجهني، 2007: 175-181؛ الحازمي،2018: 91-95). لذا، فقد يُفهم أنَّ عنوان هذا الفصل يوحي بـ "أنَّ العالم الحديث مختل عقليًا ومريض، يقول ما لا يفهم، ويفعل ما لا يعقل" (الحازمي، 2018: 94)، كأنَّه - العالم المعاصر- قد فقد حسَّه المنطقي والإنساني، فتساوى الحاضر المظلم بكلِّ ما فيه من تقنيات علميَّة، والماضي الغارق في الجهل بكل أوجهه (الحازمي، 2018: 94).

بعد هذه المناقشة لعناوين فصول الرواية، وما تتضمَّنه من محتوى، نجد أنَّها جاءت متوافقة مع مضمون العنوان الرئيس للرواية وهو "جاهلية"، وما تضمنه من إيحاءات متعددة؛ كما يتضح - كذلك - كيفية تطوُّر وعي الشخصيات السردية وفكرها، من فصل إلى آخر في النص الروائي، بحرية تامَّة تُمكِّنها من التعبير عن رأيها أمام الرأي المضاد المقابل لها، بشكل مستقل عن إرادة الكاتبة (Bakhtin,1997: 6-7)؛ وهو ما يتجلَّى في طريقة تطوُّر شخصيَّة هاشم الصلفة، التي انتهى بها المآل إلى الندم، وفي شخصية لين - كذلك - المقاومة بكل ما أوتيت من قوة لجاهلية مجتمعها المعاصرة، إلى أنْ انتهى بها المآل لشبه انهيار، بعد أنْ أدركت عبثيَّة مقاومتها. فالجهني، احتفظت بمسافة بينها وبين شخصيات "جاهلية"، سمحت لتلك الشخصيات - من خلال تلك المسافة - بالتطوُّر الفكري والنفسي وَفق تفاعلها مع بعضها ومع أحداث الحكاية في الرواية؛ وذلك مع إيمانها - الجهني - ببعض القيم الأخلاقية والاجتماعية ورفضها لبعضها الآخر، مما عُبِّر به من قبل تلك الشخصيات السردية في المتن الروائي. فالكاتبة، لم تسيطر على مسار نمو قصة "جاهلية" من خلال فرض صوتها ووجهة نظرها على شخصيات الرواية لينتهي بهم المطاف إلى النهاية التي ترتضيها الجهني وربما يرتضيها - أيضًا - قارئها المتعاطف مع كلٍّ من لين ومالك؛ بل نجد أنها - الكاتبة - سمحت لكلِّ العناصر الفنية في البناء السردي للرواية بالتفاعل الحر مع بعضها، حيث تسير بشكل تلقائي إلى النهاية التي تطالعنا، لكونها أكثر منطقية وارتباطًا بزمن الحكاية وظرفها وبيئتها المصورة في المتن الروائي (Bakhtin,1997:79-80).

- العناوين الفرعية الموجودة داخل فصول الرواية، المرتبطة بالزمن التاريخي:

تُعْرَف هذه العناوين الفرعية المرتبطة بالزمن التاريخي، كما هو موجود في رواية "جاهلية" (الجهني، 2007: 43-181)؛ في الدراسات النقدية بالعتبات النصية المحاذية، فهي مُتَّصلة في مضمونها بالعنوان الرئيس للنص إلى جانب ارتباطها ببعضها من حيث تصويرها لتطور مضمون النص أيضًا (أشبهون، 2009: 29). وهذه العناوين الفرعية، التي تكون داخل النص السردي تهدف إلى "تقديم الأثر الأدبي على مجموعة من الحواجز النصية، التي بفضلها يتم تيسير عملية الإحاطة الشاملة بهذا الأثر الأدبي في كليتيه" (أشبهون، 2009: 38)، وتكتسب أهميتها من طبيعة موقعها في النص الأدبي، من حيث مدى ارتباطها بالفكرة الأساسية المُناقشة من قبل الرواية، وإنْ كانت تعدّ عناوين جانبية، فهي تشكِّل "علامات عبور هامة إلى أفضية النص الداخلية" (أشبهون، 2009: 40)؛ ممَّا يجعلها مهمَّة لفهم الرواية.

وما يُلحظ من هذه العناوين الفرعية الداخلية المرتبطة بأزمنة تاريخية معينة، أنَّها كلّها وردت بتسمياتها القديمة -الأيام والأشهر- التي كانت منتشرة ومتداولة لدى العرب في العصر الجاهلي؛ أمَّا الشِّق الثاني من العنوان، المرتبط بالأعوام، فقد ارتبطت كلُّ فصول الرواية بعام "بعد عاصفة الصحراء"، وهي تسمية عسكرية متعارف عليها في عصرنا، لحرب تحرير الكويت في عام (1991)، عدا الفصل الأخير في الرواية، وهو فصل "غوغل يهذي"، حيث أُرِّخ بعام "الصدمة والترويع"، وهو العام المرتبط بالأحداث السياسية، التي وقعت للعراق في (2003).

تتوصَّل الدراسة، بعد قراءة متمعِّنة للرواية، أنَّ هذه العناوين الفرعية الموجودة داخل النص الروائي، المرتبطة بالزمن التاريخي، وردت على هذا النحو لتؤكِّد الفكرة المُوحى بها في عنوان الرواية الرئيس، التي أكدت عليها - أيضًا - عناوين الفصول الثمانية المكوّنة للنص. وتتَّضح الفكرة التي تتضمَّنها رواية "جاهلية"، بتركيزها على نقطة عدم تحقق العدالة والمساواة الاجتماعية، لشريحة واسعة من أفراد المجتمع، ممَّا يؤدِّي إلى عدم وجود تماسك اجتماعي حقيقي بين الناس المنتمين إلى ذلك المجتمع؛ وتصور "جاهلية" هذه الفكرة من خلال إظهارها للتخبط والصراع اللذين تعاني منهما شخصياتها السردية، بسبب النُّظم الاجتماعية الصارمة والقاسية؛ وكأنَّ الإنسان العربي لا يزال يعيش في غياهب ظلمة الجاهلية، بكل ما تُمثِّله من ممارسات سلبيَّة، وهي جاهلية متحقِّقة في غالبية المجتمعات العربية على عدَّة مستويات؛ فهناك جاهلية اجتماعية مرتبطة بالتمييز السلبي بين الرجل والمرأة، وأُخرى مرتبطة بانتماء الفرد الإثني، وهناك جاهلية سياسيَّة تمثَّلت في تفكك المنطقة العربية (الجهني، 2007: 33/9؛ الحازمي، 2018: 104-106).

- عناوين متفرعة من العناوين الفرعية، الموجودة داخل النص الروائي (توقيتية/ مكانية):

وهذه العناوين ترد *تحت العناوين الفرعية المرتبطة بالزمن التاريخي داخل النص الروائي* مباشرة، وهي الآتية:

* في الفصل الأول، "سماء تهوي": "الثالثة فجرًا" (الجهني، 2007 :7).

* في الفصل الثاني، "ولم يرَ ملائكة قط": "الرابعة فجرًا" (الجهني، 2007: 11).

* في الفصل الثالث: "شارع الملك فيصل"، "شارع الستين"، "شارع المطار الطالع"، "شارع الحزام"، "شارع القباء النازل"، "شارع قباء الطالع"، "شارع قربان"، "الثانية فجرًا (باب التَّمّار)" (الجهني، 2007: 17-45).

* في الفصل الرابع، "رائحة الحزن": "الرابعة والنصف فجرًا (غرفتها)"، "السابعة مساء (المستشفى)"، "الثامنة مساء(المستشفى)"، "الحادية عشر مساء(غرفتها)"، "الواحدة والنصف فجرًا (غرفتها)"، "الثالثة فجرًا (غرفتها)"، "الرابعة فجرًا (غرفتها)"، "الرابعة والنصف فجرًا (غرفتها)" (الجهني، 2007: 47-99).

* الفصل السابع، "ما تحت اللون": "الحادية عشرة ليلا"، "الحادية عشرة والنصف ليلا"، "الواحدة فجرًا"، "الواحدة والربع فجرًا"، "الواحدة والثلث فجرًا"، "الثانية والربع فجرًا"، "الثالثة فجرًا" (الجهني، 2007: 135-171).

* الفصل الثامن، "غوغل يهذي": "الثالثة فجرًا" (الجهني، 2007 : 175).

تدلُّ العناوين المرتبطة بالتوقيت الزمني في الرواية، الواردة أعلاه؛ في أغلبها على المساء، بل على توقيت متأخِّر في المساء، وبعضها يشير إلى الفجر؛ ممَّا يعني أنَّ الروائية تصبُّ تركيزها على مدة زمنية توقيتية محددة من اليوم، بهدف تصويرها لحالة القلق الذي تحياه الشخصية السردية في "جاهلية"، دليلًا على وجود معاناة من نوع ما لديها، يؤدِّي إلى سهادها، وهو أمر متحقِّق لدى: هاشم ولين ومالك (الحازمي، 2018: 109-112)؛ ولتحقيق هذا الغرض - تصوير الشخصية السردية نفسيًّا - نجد أنَّ الكاتبة حذفت بقية المدة الزمنية المتبقية من الأيام في نص الرواية (الحازمي، 2018: 110)، ممَّا يؤثِّر على الإيقاع السردي

للنص، فحذف ساعات طويلة من اليوم دون الإشارة إليها يؤدِّي إلى سرعة إيقاع النص الروائي (بوعزة، 2010: 94/92)، لكن في المقابل نكتشف أنَّ الكاتبة عطلت - في الوقت نفسه - إلى حدٍّ ما إيقاع السرد، عن طريق استخدامها أسلوب الوقفة من الناحية التقنية السردية، للهدف الفني ذاته، وهو تعميق تصوير الوضع النفسي للشخصية السردية في النص من خلال إيراد تأمّلاتها وخواطرها، لإظهار معاناتها الاجتماعيَّة (بوعزة، 2010: 94/96-98)؛ ويعدُّ نص "جاهلية"، كلّه مثالًا لذلك، لذا ستكتفي الدراسة بالإحالة إلى هذه الصفحات للاستشهاد (الجهني، 2007: 7-13/49-99/173-181). وقد ساعد اتباع الكاتبة لهذا الأسلوب، من أنْ تستعيض عن قلَّة الأحداث في الرواية، بالتركيز على تصويرها وتحليلها للشخصيات السردية في "جاهلية" من حيث وضعها النفسي، عن طريق "العودة إلى ماضيها القريب والبعيد، لتكمل [بناء تلك الشخصيات]، وتستكمل بنية الحكاية" (الحازمي، 2018: 111)؛ وهذا يمنح الشخصية السردية لمسة واقعية لأنَّه يساعدها في الربط بين عالمها النصي والعالم المرجعي الحقيقي الذي تصوره (جوف، 2012: 74)؛ ممَّا يُسهِّل على القارئ متابعة التطوّر الحادث لحكاية الرواية وفهمها.

وردت العناوين المرتبطة بالأماكن في النص الروائي، الواردة تحت البند المُناقش أعلاه في هذه الدراسة، لدى شخصيتين في الرواية، وهما:

* شخصية هاشم: الذي كان كثير الحركة في شوارع المدينة المنورة، ممَّا يمنح القارئ تصوُّرًا واضحًا عن طبيعة المدينة من الناحية الهندسية، والجغرافية، والاجتماعية؛ كما أنَّ تصوير الحركة المكثّفة لهاشم في أزقة المدينة المنورة وشوارعها، دلَّ على تمكّن الكاتبة من الاستفادة من الفضاءات الجغرافية والهندسية المفتوحة التي صُوّرت في النص الروائي، في تطوير الأحداث والشخصيات السردية (Moretti,1997:29-32)؛ فارتباط هاشم بطرقات المدينة المنورة وأزقتها وشوارعها، أكَّد صفة القلق المتفاقم لديه، الذي أدَّى إلى عدم استقراره النفسي، ويُلمس ذلك من أسلوب تفاعل هاشم مع بقية الشخصيات والعناصر الفنية في النص السردي، كما يُصوَّر ذلك في فصل "الصمت والموت" (الجهني، 2007: 17-45؛ الحازمي، 2018: 112-114). وارتكاب هاشم لحادثة الاعتداء على مالك، بمساعدة صديقه (الجهني، 2007: 43-45)؛ يساعد القارئ على تكوين فكرة عن طبيعة تلك الفضاءات الهندسية والجغرافية المفتوحة في المدينة، التي تسمح بوقوع أعمال غير مشروعة في جنباتها، ولا سيَّما في توقيتات زمنية متأخِّرة، تضمن عدم وجود حركة كثيفة (Moretti, 1997: 4)، ممَّا يجعل تلك الفضاءات الهندسية المفتوحة تبدو في صورة غير حميمية، بسبب الثقافة المجتمعية السائدة. وهذا الحدث، يؤكِّد ارتباط هاشم العميق بالفضاء الجغرافي المفتوح، الذي يجسِّد قلقه المؤدِّي إلى ارتكابه لأعمال تتَّسم بالعنف، ممَّا يعني أنَّ الفضاء السردي في رواية "جاهلية" يُعدُّ فضاءً إيديولوجيًّا (بحراوي، 2009: 80)، لنجاحه في تصوير تقاليد وأعراف المجتمع، التي تسمح للرجل بالحركة في أيِّ مكان ووقت وفعل ما يشاء، بينما تُمنع المرأة من ممارسة هذه الحرية حتَّى في أدنى صورها.

* شخصية لين: توضِّح الدراسة، أنَّ العناوين الفرعية المرتبطة بالأمكنة، فيما يتعلَّق بشخصية لين، وردت -كلها- في أماكن مغلقة (الجهني، 2007: 49- 99/ 103-120/ 173-181؛ الحازمي، 2018: 112-114)، ممَّا يدلّ على طبيعة ثقافة المجتمع في رواية "جاهلية"، من حيث نظرته للرجل والمرأة، فيما يخصّ الحرية الممنوحة لكلٍّ منهما في الحركة داخل حدوده، ممَّا يثبت أنَّ عنصر المكان/ الفضاء في النص الروائي قد أسّس بناء على منظور إيديولوجي (بحراوي، 2009: 80).

فالفضاء الجغرافي والهندسي في الأعمال الروائية لهما دلالات ثقافية/ اجتماعية، مرتبطة بالبيئة المصوَّرة في العمل الروائي، والقارئ يدرك ذلك من طريقة تعامل الشخصيات السردية في الرواية مع تلك

الفضاءات بمختلف أنواعها ضمن الإطار التاريخي الذي يغلف هيكل البناء السردي للنص بأكمله؛ فلا شيء يُصور في الفضاء السردي من الناحية الاجتماعية دون أنْ يكون له وجود في الفضاء الواقعي، الذي صُوِّر في النص الروائي (النصير، 2015: 75-80)؛ لذلك لا بدَّ لتلك الفضاءات السردية أنْ تكون الممارسات الاجتماعية الجاريّة فيها محمَّلة بدلالات ثقافية مرتبطة بالمجتمع المصوَّر في النص خلال مرحلة تاريخية محددة. وهذا ما تشير إليه العناوين المرتبطة بهذا الجزء.

صوّر كل ذلك في الرواية بأسلوب جسّد عمق تغلغل قيم الجاهلية واستمراريتها، في حياة إنسان هذه المجتمعات الصارمة من حيث التمسك بتقاليدها العُرفية. وهذا يؤكِّد أنَّ العناوين الفرعية المرتبطة بالتوقيتات الزمنية والمكانية، في "جاهلية"، وردت متوافقة من حيث المعنى الضمني مع: العنوان الرئيس للرواية، وعناوين فصول الرواية الثمانية، والعناوين الفرعية المرتبطة بالناحية الزمنية التاريخية أيضًا.

- الاقتباسات الإخبارية السياسية، في "جاهلية":

توجد في بداية كلِّ فصلٍ الاقتباسات الإخبارية السياسية، التي تتحدَّث عن استعداد الولايات الأميركية المتحدة للإغارة على العراق، بدعوى امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، والفضاء الزمني لهذه الاقتباسات الإخبارية هو أواخر عام (2002)، وتستمر حتى تنفيذ أميركا للعمليات العسكرية على العراق في (آذار/ 2003)، (الحازمي، 2018: 114/116/118). وتحديد المدة الزمنية من الناحية التاريخية، بهذا الحدث السياسي/ التاريخي، يحدد - أيضًا - الزمن التاريخي لحكاية "جاهلية"، ممَّا يشير إلى *ارتباط حكاية لين ومالك بحكاية العالم العربي*، ليعمِّق من صورة تقهقر الإنسان العربي وضعفه على مستوى الحياة الخاصة المرتبطة بوضعه الاجتماعي، وكذلك، على مستوى حياته العامة المرتبطة بوضع العالم العربي من الناحية السياسية (الحازمي، 2018: 114-124).

تتموضع الاقتباسات الإخبارية، قبل بداية كلِّ فصلٍ من فصول الرواية، تحت عنوان الفصل: (الجهني،2007: 5/ 9/ 15/ 47/ 101/ 121/ 133/ 173). ممَّا يعني أنَّها توجد قبل العناوين الفرعية المرتبطة بالمدة الزمنية التاريخية، والتوقيتية/ المكانية في النص الروائي؛ فتموضعها في النص بتلك الطريقة، يجعلها عتبة من عتبات الرواية؛ مرتبطة بعنوانه الرئيس وبعناوينه الفرعية الأخرى الموجودة في النص السردي، وذلك من حيث الدلالة التي تمنحها تلك الاقتباسات لمضمون "جاهلية"، وما يؤكِّد ارتباطها بالبناء السردي للرواية، هو "حضور أخبار مرتبطة بالمقتبسات ... في النص المركزي" (الحازمي، 2018: 120)، يتمثَّل ذلك بوضوح في فصل: "الصمت والموت" (الجهني، 2007: 33-34)، و"رائحة الحزن" (الجهني، 2017: 68)، و"غوغل يهذي" (الجهني، 2007: 178)؛ لذا عند قراءة "جاهلية"، "يمكن [لتلك القراءة]، أنْ تكشف عددًا كبيرًا من الدلالات الكامنة خلف هذه المقتبسات السياسية[؛] إذ يمكن ربطها بعنوان الرواية *جاهلية*، فهي تحمل قصة حرب أميركا للعراق، بكلِّ ما فيها من صلف وقوة وجبروت وعدوان واستعلاء على الجانب الضعيف ... فهي إذًا صورة من صور الجاهلية، الجاهلية الدولية أو العالمية، التي تتسلَّح بأقوى الأسلحة وأفتكها، وتتقنع بالديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، كما تقنَّعت الأيام والشهور بأسمائها الحديثة" (الحازمي، 2018: 123)؛ وبذلك تكون الاقتباسات الإخبارية ذات المضمون السياسي في "جاهلية"، قد أسهمت في تثبيت المفهوم المُوحى به في العنوان الرئيس للرواية.

ـ الاقتباسات التراثية والأدبية، في "جاهلية":

تعدُّ الرواية في عصرنا، جنسًا أدبيًّا يحيل إلى "الخطاب الثقافي المتحوّل" (الغذامي، 2014: 29)، الدال على ثقافة المجتمعات، التي يعبِّر عنها هذا النوع الأدبي؛ لذا يفضل عند قراءة نصٍّ من هذا الجنس الأدبي، التدقيق فيما بين الأسطر بهدف فهم الثقافة التي يعبِّر عنها النص الروائي المُتناول؛ ولا يتحقَّق ذلك إلَّا من خلال فهم الناقد الأدبي للدلالات الثقافية الموجودة في التركيب اللغوي، التي يتكوَّن منها نص الخطاب في الرواية. فقد بنى "النقد الأدبي مشروعه في العمل على علاقة النص مع إنتاج الدلالة، في تمييزه بين نوعين من الدلالة، هما الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية، حيث تزداد أدبيَّة النص كلَّما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية" (الغذامي، 2014: 71)، فالدلالة الضمنية، غالبًا ما تكون متضمِّنة لناحية ثقافية ترمز إلى طبيعة تفكير المجتمع، الذي انبثقت منه (الغذامي، 2014: 72-74)؛ والخطاب المتَّسم بسبغة تدلُّ على دلالة ضمنيَّة، يشير إلى أمور قد لا تكون وردت بوضوح في وعي المؤلف، أو الجماعة المنتمية لتلك الثقافة المُعبَّر عنها في النص الأدبي؛ وغالبًا ما تُترك تلك الإشارات المضمرة المُضمَّنة في النص الأدبي لاستنتاجات القارئ (الغذامي، 2014: 75-76).

تتضمَّن رواية "جاهلية"، الكثير من الاقتباسات التراثية والأدبية، التي تحتوي على دلالات ثقافية خاصة بعصرها الذي أنتجها، ولكن ـ في الوقت نفسه ـ مرتبطة بالفكر العربي الثقافي العام، أيضًا، الذي تكوَّن عبر الأزمنة المختلفة؛ والدلالات الثقافيَّة التي تشير إليها تلك الاقتباسات التراثية والأدبية هي دلالات غير مباشرة في الخطاب الروائي، تمثِّل نصًّا موازيًا للنص المكتوب/ المقروء، ممَّا يدلُّ على أهميَّة قراءة النص بتأنٍّ بهدف الربط بين أجزائه لفهم المسكوت عنه في متن خطاب رواية "جاهلية" (ثامر، 2004: 9). وترد الاقتباسات التراثية والأدبية في الرواية، في فصلي: "ما تحت اللون" (الجهني، 2007: 135-171)، و"غوغل يهذي" (الجهني، 2007: 175-181). وهذان الفصلان مرتبطان بوعي مالك ولين، ممَّا يعني أنَّهما ـ الفصلان ـ يحتويان على وجهة نظر معينة تخصُّ الشخصيتين تجاه موضوع ارتباطهما مع اختلافهما الإثني؛ لكونهما ـ كذلك ـ أكثر شخصيتين روائيتين في نصِّ الرواية تتمتعان بوجود نوع من الوعي الثقافي لديهما (Bakhtin, 1997: 97)؛ ممَّا يعزِّز من إدراك القارئ إلى أنَّ استخدام الاقتباسات التراثية والأدبية من قبل هاتين الشخصيتين السرديتين ـ لين ومالك ـ في هذين الفصلين، كان بسبب احتواء تلك الاقتباسات على دلالات مرتبطة بانتقاد الثقافة الاجتماعية المعاصرة، التي يتحلَّى بها الإنسان العربي في المجتمعات العربية الصارمة في تقاليدها وأعرافها. ويتأكَّد ذلك، من عنوان الفصلين المذكورين وما يتضمنا من إيحاءات مرتبطة بهذا المعنى، الذي يتأكَّد من خلال مضمونهما؛ ففصل "ما تحت اللون" (الجهني، 2007: 133-171)، الذي يُعْرَض من وعي مالك يناقش موضوع العِرق ولون البشرة، وكيفيَّة تأثيرهما على مكانة الفرد ومنزلته الاجتماعيَّة في المجتمع الذي ينتمي إليه أو يوجد فيه، وهي قضايا تشير إلى المشاكل التي عانى منها مالك مع أسرته في المجتمع الذي وُلد ونشأ فيه. أمَّا فصل "غوغل يهذي" (الجهني، 2007: 173-181)، الذي يُعْرَض من وعي لين، نجد أنَّه يتضمَّن معنى الغوغائية والفوضوية، كما يشير بذلك العنوان، فهذا الفصل يرمز إلى وجود تداخل غير مستساغ ما بين الثقافة القديمة والحديثة للإنسان العربي المعاصر، بأسلوب فيه الكثير من التشويش الذهني، الذي يُرمز إليه بوضع لين النفسي وهي في مقابل حاسوبها، ممَّا يؤكد اتِّسام ثقافة الفرد العربي في عصرنا بالسطحيَّة المؤدية إلى تشرذمنا (الحازمي، 2018: 94-95). والاقتباسات التراثية والأدبية الموجودة في هذين الفصلين ودلالاتها، هي الآتية:

* من فصل "ما تحت اللون": قصة زواج الحجاج بن يوسف من أم كلثوم بن عبدالله بن جعفر، التي أُجبر على تطليقها بأمر من الخليفة عبدالملك بن مروان، بسبب التفاوت الاجتماعي بين القبيلتين (الجهني، 2007: 135-136)؛ وإيراد هذه الحادثة التاريخية في نص الرواية، دلالة على استمرارية التعصُّب القَبَلي، الذي كان سائدًا بين القبائل العربية منذ المرحلة الجاهلية (الحازمي، 2018: 125-127).

* من فصل "ما تحت اللون": قصة حام بن نوح ودعوة والده عليه، التي كان نتيجتها أنْ رُزق بابن أسود (الجهني، 2007: 140-141)؛ وهي تدلُّ على أنَّ اللون الأسود مرتبط باللعنة في الذهنية العربية (الحازمي،2018 :128).

* من فصل "ما تحت اللون": قصة تعذيب أمية بن وهب لبلال بن رباح؛ يتذكَّر مالك القصة لمشاهدته على التلفاز أداء المُمَثِّل الذي مَثَّلَ دور بلال ولم يكن أسود البشرة، بل تمَّ دهنه بدهان أسود بأسلوب غير محترف، ممَّا جعل مالك يُرجع ذلك إلى اعتقاد أغلبية الناس بخمول الإنسان الأسود، لدرجة عدم مقدرته على أداء دور يناسبه (الجهني، 2007: 149-150)؛ والهدف من إيراد هذه القصة تأكيد مفهوم عبودية الإنسان الأسود، والنظرة الدونية الموجودة في المجتمع تجاهه، ممَّا يتطابق مع قيم الجاهلية (الحازمي، 2018: 128-130).

* من فصل "ما تحت اللون": يرد الاقتباس - فيما يخصُّ هذه النقطة: المرتبطة بلون البشرة وبالأصل العرقي- من الشعر العربي القديم، وهو بيت شعري يعود إلى الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد، الذي يجاهر بحبّه لابنة عمِّه، وعدائه - في الوقت نفسه - لقبيلته، بسبب عدم اعتراف القبيلة به، للونه الأسود (الجهني، 2007: 152). ويشير هذا الاقتباس التراثي من الأدب العربي القديم، إلى النظرة السلبية منذ القدم، الموجودة لدى الإنسان العربي تجاه أصحاب البشرة السوداء واستمراريتها؛ كما يحتوي هذا الاقتباس الشعري التراثي على رمزية مكثفة لقصة حب مالك ولين وللعائق الذي يمنع من ارتباطهما (الحازمي، 2018: 131).

* من فصل "ما تحت اللون": تُذكر حادثة استباحة الزنج من جند يحيى بن العباس أخي الخليفة السفاح، لمدينة الموصل بأوامر منه، نكاية بأهلها المتمردين ضدَّ العباسيين (الجهني، 2007: 156)؛ والهدف من إيراد هذه الحادثة التاريخية في نصِّ الرواية، إظهار نفور المرأة العربية الحرّة من الرجل الأسود، وهو ما كان يدركه مالك، ممَّا دفعه إلى مصارحة لين بلونه في بداية تعارفهما، ليتأكَّد من قبولها - لين - له (الحازمي، 2018: 132).

* من فصل "ما تحت اللون": الاقتباس التراثي في هذا المقام، من الأخبار الأدبية لدى العرب، لارتباطه بقصة الشاعر الشهير النصيب، الذي أكرمه عبد الله بن جعفر في إحدى المناسبات الشعرية، أكثر من بقيَّة الشعراء الذين كانوا موجودين في تلك المناسبة بمجلسه، فوُجَّه إلى صاحب المجلس لومًا على ما أبداه من كرم جزيل لشاعر ينتمي إلى طبقة العبيد (الجهني، 2007: 167)؛ فإيراد هذه القصة في الرواية كان بهدف التأكيد على النظرة العنصريَّة التي اتَّسم بها المجتمع العربي تجاه أصحاب البشرة الداكنة المنتمين إلى طبقة اجتماعية سُفلى، على حسب التوزيع الطبقي في تلك المجتمعات، منذ مطلع تاريخها (الحازمي، 2018: 133-134).

* من فصل "ما تحت اللون": الاقتباس التراثي الأخير في هذا الفصل، هو من الشِّعر العربي الجاهلي، أيضًا، فالبيت الشِّعري من معلقة امرئ القيس، الذي يتغنَّى فيه بطول الليل (الجهني، 2007: 167-168)؛ وورود

الليل في هذا المقام، دلالة على تذكير مالك لنفسه بلون بشرته المطابقة للون الليل، حيث تكمن حقيقة مأساته في الحياة.

* من فصل "غوغل يهذي"، تطالعنا الاقتباسات التراثية والأدبية، الآتية:

- أسماء أيام الأسبوع والأشهر في الجاهلية، مقابل أسمائها في المرحلة الإسلامية (الجهني، 2007: 175-179)؛ وقد استخدمت الكاتبة - في الوقت نفسه - أسماء الأيام والأشهر عناوينًا فرعية في النص الروائي. والكاتبة، عندما تورد أسماء الأيام والأشهر كما كانت تُستخدم في الجاهلية لتقابلها مع مسمياتها في العصر الإسلامي، من خلال وعي لين في هذا الفصل، فإنَّما تهدف من ذلك إلى تأكيد فكرة عدم تغيّر القيم الأخلاقية لدى الإنسان العربي منذ جاهليته، وأنَّ التغيُّر الذي طرأ على ثقافته في المرحلة الإسلامية كان تغيُّرًا سطحيًّا، اقتصر على استبدال أسماء بأخرى (الحازمي، 2018: 90-91).

- أجزاء من أبيات من الشِّعر العربي القديم والمعاصر، وهي الآتية: "تذكرت من يبكي علي فلم أجد"/ للشاعر الإسلامي مالك بن الريب، "وظلم ذو القربى أشد مضاضة"/ للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، "ولقد ذكرتك والرماح نواهل"/ للشاعر الجاهلي عنترة بن شداد، "ألا أيها الليل الطويل ألا انجل"/ للشاعر الجاهلي امرئ القيس، "أطلق لها السيف لا خوف ولا وجل"/ للشاعر العراقي المعاصر عبد الرزاق عبد الواحد (الجهني، 2007: 179-181). تشير هذه الأجزاء من الأبيات الشعرية، إلى فكرة تَعَرُّض الإنسان للظُّلم من أهله، الذي يؤدِّي إلى اضطهاده بغُبن حقِّه؛ فلا يتمكَّن من الحصول على حقوقه إلَّا بخوض الكثير من الصراعات معهم. ولو قُرأت هذه الأجزاء من الأبيات الشعرية بتمعن، وفُهمت دلالاتها الضمنية من الناحية الثقافية، يتَّضح أنَّها تُكمل بالربط فيما بينها، الفكرة التي أرادت لين في هذا الفصل التأكيد عليها، وهي كونها مضطهدة في المجتمع الذكوري الذي تنتمي إليه، مع تميّزها الثقافي والفكري والاجتماعي، لمجرد أنَّها امرأة. وممَّا يلفت النظر، أيضًا، أنَّ هذه الأجزاء من أبيات الشِّعر، بغض النظر عن العصر التاريخي/ الأدبي الذي تنتمي إليه؛ تعبِّر عن قيم سلبيَّة تناسب المرحلة الجاهلية من تاريخ العرب، وهذا يدلُّ أنَّ تلك القيم المرتبطة بالعصر الجاهلي، لم تُمحَ من الذهنيَّة العربية إلى يومنا (الحازمي، 2018: 89-95).

هدفت الكاتبة من إيراد الاقتباسات التراثية والأدبية المرتبطة بقصص تاريخية، أو دينية، أو بأجزاء من أبيات شعر؛ الواردة في فصليّ: "ما تحت اللون" و"غوغل يهذي" في الرواية؛ إلى تأكيد الفكرة المطروحة من قِبلِها، وهي: وجود تمييز جندري وإثني في غالبية المجتمعات العربية، منذ المرحلة الجاهلية إلى هذا اليوم، حيث فشل الفكر الإسلامي في القضاء على ذلك التمايز السلبي بين أفراد المجتمع الواحد. ممَّا يعني، أنَّ القيم الجاهلية متجذِّرة في الذات العربية، وأنَّها السبب في حالة التشرذم التي تحياها المجتمعات العربية من الناحية الاجتماعية، وقد أدَّى ذلك إلى تفكُّكها السياسي أكثر، حيث جرَّت المنطقة إلى خوض ثلاثة حروب أنهكتها، وهي: الحرب "العراقية الإيرانية" (1980-1988)، وحرب "عاصفة درع الصحراء" - تحرير الكويت - (1990-1991)، وحرب "الصدمة والترويع" على العراق (2003) (الحازمي،2018 :114-124).

نخلص من بعد عرض ومناقشة كلِّ العناوين الموجودة في رواية "جاهلية"، بأنواعها كافةً، وبكلِّ ما تتضمَّنه من إيحاءات ودلالات ثقافية مرتبطة بالثقافة الجمعيَّة العربية التقليدية/ الذكورية، التي تصوُّرها الرواية، إلى الحقيقة الآتية: أنَّ الكاتبة، وفقت في تأكيد وجود علاقة وثيقة بين المرأة والكتابة الأدبية، تمكِّنها من تصوير واقعها - المرأة - المعيش بهدف مقاومة الجوانب المظلمة في ذلك الواقع لتغييره؛ فيتأكَّد تحرُّرها

من السلطة الذكورية، متغلبة بذلك على الفوارق الجنسانية والإثنية المقيّدة لكيانها الإنساني في المجتمع الذي تنتمي إليه، ممَّا يرسِّخ إحساسها بذاتها وهويتها الإنسانية (ليبيهان، 2002: 195-208)، من خلال تأكيد أحقيتها في اختيار مسارات حياتها المختلفة، فتشعر بتحقُّق وجودها في مجتمعها (سارتر، 2012 :32-34). فالكتابة الأدبية، بالنسبة للكاتبات أداة مقاومة تهدف إلى إعادة تشكيل واقعهن إلى الأفضل من وجهة نظرهن لتحقيق وجودهن الإنساني كما يرتئينه؛ لذا نشعر أنَّ كاتبة "جاهلية" نجحت بتصوير واقعها في المرحلة الزمنية التي أنتجت فيها روايتها، بدءًا من الإيحاء بسلبية ذلك الواقع - آنذاك - من طريقة استخدامها للعناوين المتنوِّعة الموجودة في النص الروائي، من خلال ما حمَّلته لتلك العناوين من دلالات ثقافية عميقة مرتبطة بالتراث والفكر العربي من الناحية الاجتماعية عبر عصوره التاريخية المختلفة. ويمكن للقارئ استقراء ذلك من أسلوب تطور الشخصية المحوريّة - لين - في الرواية، بتفاعلها مع: الحدث السردي الرئيس وبقية الشخصيات السردية في النص الروائي؛ المتمثِّل في رفض أُسْرتها لارتباطها بمالك ذي الأصول الإفريقية بسبب التابوهات الاجتماعية المفروضة على المرأة المنتمية إلى أصول عربية - كما توحي بذلك العناوين المتنوعة في "جاهلية" - من قبل المجتمع القَبَلي، الذي يفرض سيطرته على حياة النساء المنتميات إلى نظامه، مستخدمًا لتحقيق ذلك حججًا دينيَّة واهية (المرنيسي، 2010 :226-235)، بينما يكمن السبب الحقيقي المسكوت عنه، لتلك السلطة القَبَلية المفروضة على نساء القبيلة (ثامر، 2004 :9-12)، في رغبة المجتمع القَبَلي في الحفاظ على هويته وعلى الوجه الأخص هويته العِرْقية المتمثِّلة في القدرة على التناسل والإنجاب، وهي المقدرة الموجودة لدى المرأة كونها الأنثى، ممَّا يؤدي بالمجتمع للنظر إليها على أنَّها وعاء حافظ للهوية العرقية؛ لتمكّنها - من خلال قدرتها على الإنجاب - من منح المجتمع القبلي نوعًا من التجانس في أصوله، لتوجد بذلك وشائج دموية بين أفراده - بتزاوجهم من بعضهم - تشعرهم بنقاء عرقهم، ومن ثمَّ نقاء بيئتهم الاجتماعية (كولينز، 2013: 7-34)؛ لذلك نجد أنَّ العناوين الموجودة في الرواية، تؤكِّد بإيحاءاتها الضمنية فكرة فشل العلاقة العاطفية بين لين ومالك، لتنتهي الأحداث - مؤكِّدة هذه الفكرة - في "جاهلية"، بمالك في المستشفى فاقدًا للوعي وبلين مشوشة الفكر بعد أنْ فقدت قدرتها على مقاومة العادات البالية في مجتمعها؛ ومع أنَّ كلاًّ من شخصيتي لين ومالك قد عبَّرتا عن وجهة نظر الكاتبة في قضيتي الجندر والإثنية من خلال ارتباطهما العاطفي؛ إلَّا أنَّ الجهني لم تسعَ إلى فرض صوتها/ آرائها على الشخصيتين ممَّا يؤثِّر في طبيعة نموهما الفني، وإنَّما سمحت لهما بالتطوُّر فكريًّا ونفسيًّا بسلاسة منطقيَّة عن طريق تفاعلهما مع محيطهما السردي من أحداث وشخصيات سردية أخرى (Bakhtin,1997:78-80).

- تحليل ثيمة الاضطهاد في البنية السردية لرواية "جاهلية":

يعدُّ الاضطهاد ثقافة مرتبطة بالعنف، الذي عادة ما يكون مصاحبًا لمشاعر الألم والحزن، وهذه المشاعر تتجلَّى في أفضل صورها في *التراجيديا* (Eagleton, 2003:1-2)؛ ولكون الرواية، جنسًا أدبيًّا ذا صلة بفن *التراجيديا*، نجد أنَّ المواضيع التي تصوّر الاضطهاد في هذا الجنس الأدبي، تحتوي على شخصيات سرديّة تتَّسم بقوة الإرادة عند مواجهة الأزمات، تمكّنها من مقاومة تلك المصاعب، ولاسيَّما الشخصية المحورية في النص الروائي؛ ممَّا يساعد النص في إظهار التطوُّر في الناحية النفسيَّة لدى الشخصيَّة السرديَّة أثناء مواجهتها لأزمات الحياة المعيشة من قبلها، كما يحدث - تمامًا - *لبطل التراجيديا* (Eagleton, 2003:28/33/36/76).

والشخصية المحورية في الرواية، التي تتناول موضوعًا يُصوِّر نوعًا من أنواع الاضطهاد في مجتمع ما، هي شخصية غير مستسلمة لما ينسجه لها القَدَر، يُفهم ذلك من طريقة تفاعلها مع قَدَرها من خلال

ما يصادفها من أحداث؛ لذا فهي شخصية متحرِّكة عبر الزمن السردي المُحاطة به ضمن إطارها الفضائي، ومن ثَمَّ فهي شخصية مسؤولة عما يبدر عنها من أفعال، لامتلاكها حرية التعبير، مثل *أبطال التراجيديا*، إلى حد كبير (Eagleton, 2003: 102/110-111/115)؛ من هذا المنطلق تناقش هذه الدراسة، ثيمة الاضطهاد في رواية "جاهليّة"، مرتبطة بمفهوم الهويّة، المرتبط بطبيعة انتماءاتنا الاجتماعية المتعددة. فالاضطهاد لا يظهر بين أفراد المجتمع الواحد، إلّا إنْ وجد اختلافًا ملحوظًا بشكل جذري في ممارسة اجتماعية، تعد فِقرة مهمة من فقرات عمود تأسس ذلك المجتمع بين الشرائح الاجتماعية المُكوّنة لنسيجه؛ ممَّا قد يؤدِّي إلى عدم تقبّل ذلك الاختلاف من طرف الأغلبية السائدة في المجتمع، لإحساسها أنَّ الاختلاف الذي تمثّله الشريحة الاجتماعية التي تعدُّ أقلية، منافيًا لتقاليدها المتوارثة عن الأجداد (معلوف، 1999: 92/18).

والمختلف، الذي تناقشه "جاهلية"، هو أنْ يكون للمرأة سُلطة على حياتها في مجتمعاتنا التقليدية ذات الطابع الذكوري، فالمرأة تمتلك بوصفها إنسانًا، وبوصفها فردًا في المقام الأول، وجنسًا في المقام الثاني (الخليل ومجيد، 2022: 11)، مكانةً مستقلَّةً تؤهلها لتأخذ قراراتها الفردية بعيدًا عن التبعية للعقلية الذكورية رغم أنَّنا نعيش في سياق ثقافة يهيمن عليها الذكور (الخليل ومجيد، 2022: 18)، وكذلك فكرة تقبّل الآخر المخالف من الناحية الإثنية للأغلبية المُكوّنة لنسيج المجتمع العرقي والثقافي. ممَّا يعني أنَّ الاضطهاد المصوّر في "جاهلية"، ينقسم إلى نوعين: الأول، يتمثَّل في تقييد المجتمع لحرية المرأة من خلال فرض قيم ذكورية عليها مرتبطة بالنظام القَبَلي؛ فتُمنع من الاقتران إلَّا بمن ترتضيه القبيلة أو العائلة؛ وهذا يدلُّ على أنَّ الرواية تناقش موضوعًا نسويًّا مهمًّا، يصوِّر استمرارية فرض الثقافة الذكورية في عدة مجتمعات عربية على النساء (Rivikin & Ryan, 2001: 527-528)؛ على الرغم من أنَّ المرأة تمتلك ذلك القَدْر من العقل بوصفها مخلوقًا بشريًّا أثبتت تجارب الحياة بما لا يقبل مجالًا للشك عدم اختلافها عن الرجل، وهذا إنْ لم تكن تمتاز عليه في بعض الأحيان (الخليل ومجيد، 2022: 102). أمَّا الثاني: فيتمثَّل في رفض فكرة الاختلاط بالآخر المختلف من الناحية الإثنية، عن طريق الانصهار معه بالتزاوج (Barker, 2004: 248). وهذا يساعد الدراسة على أنْ تُبرهن أنَّ رواية "جاهلية" تُعدّ نصًّا أدبيًّا يصوِّر الاضطهاد في أجلى صوره؛ لتمكّنه من تصوير حرمان المرأة من أبسط حقوقها المتمثّلة في اختيارها لرفيق حياتها، وكذلك، في تصويره تهميش المجتمع لبعض الفئات الإثنية الموجودة فيه، التي قد تتعرَّض - في بعض الأحيان - إلى العنف بهدف إقصائها.

تناقش الدراسة، المفاهيم المذكورة أعلاه، من خلال التركيز على الشخصية المحورية في الرواية، المتمثِّلة في شخصية لين؛ لأنَّ الشخصية المحورية في النص السردي تؤدِّي "دورًا أساسيًّا في بناء الرواية" (عثمان، 1982: 107)، ولا سيَّما إذا كانت "تنمو وتتطوّر وتتفاعل مع الأحداث" (عثمان، 1982: 116)، كما هي الحال مع شخصية لين في "جاهلية". كما أدّت بقية الشخصيات السردية في الرواية، دورًا مميّزًا في تصوير الأفكار الإيديولوجية - الموجودة في بيئتهم - التي قد حُمّلوا بها من خلال طريقة تفاعلهم مع بعضهم ومع أحداث الرواية، لدرجة أدت إلى تجسيد تلك الأفكار المتناولة في النص الروائي بشكل نابض، عن طريق مواقفهم المتضاربة بحدة تجاه قضية لين ومالك (Bakhtin, 1997: 85)؛ "فالشخصيات في النصوص الروائية ... هي نتاج البناء التأليفي" للرواية (ضرغام، 2010: 41). وتتكشَّف أحداث الحكاية في الرواية، عن طريق صوت السارد العليم المحايد غير المشارك - الضمني - في النص (خليل، 2010: 81-82)، الذي يُعنى بإيراد وجهة نظر كل شخصية من الشخصيات السردية في النص الروائي، عن طريق مقابلتها - وجهات النظر المختلفة - مع بعضها، بحيث تكون في وضع أقرب إلى المجابهة، ممثّلة بذلك الحياة بكل ما فيها من اختلاف وتناقض (Bakhtin, 1997: XXI- XXII)؛ ويتابع قارئ "جاهلية" صوت السارد العليم المحايد غير المشارك، الضمني، دون التمكُّن من معرفة هويته (Seymour, 1980: 197)، والهدف من

استخدام بعض الروائيين لهذا النوع من الساردين في بعض أعمالهم السردية، رغبتهم - الروائيين - في السماح للقارئ بمتابعة ما يطرأ من تطوّر للشخصيات والأحداث في النص دون أيِّ تدخّل منهم. وتُمكّن وجهات النظر المتعددة الواردة في نص الرواية من منظور الشخصيات السردية الموجودة في النص، والمعروضة بصوت السارد - المحايد العليم/ غير المشارك، الضمني - القارئ من الإحاطة الكاملة بتطور الحكاية من مرحلة لأخرى من جميع جوانبها (مانفريد، 2011: 80). كما أنَّ حركة الزمن، في رواية "جاهلية"، من الحاضر إلى الماضي مع استخدام تقنيتي الوقفة والمشهد (بوعزة، 2010: 88-90/92/94-98)، تعدّ من العوامل المساعدة للقارئ على استيعاب مضمون الحكاية في النص. ويعدّ المكان، أيضًا، في النص الروائي، مرآة لطباع الشخص الذي يسكنه (قاسم، 1984: 84)، "فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، ومن جانب آخر، إنَّ حياة الشخصية تفسّرها طبيعة المكان، الذي يرتبط بها" (قاسم، 1984: 84)؛ ويمكن تفسير ذلك من خلال فهمنا لطبيعة الفضاء الجغرافي/ الهندسي من الناحية الثقافية للمدينة المنورة في "جاهلية"، الذي جُسّدت من خلاله قيم مناقضة للإسلام الداعي إلى تحقيق المساواة والعدالة بين الناس، متوافقة مع القيم القَبَليّة المتّسمة بالتزمّت والانغلاق؛ وكأنَّ الفضاء الجغرافي/ الهندسي في المدينة المنورة استمرارٌ للثقافة الجاهلية. وما أكَّد هذا المعنى في نصِّ الرواية، طبيعة العنف الذي ظهر في أسلوب تفاعل شخصيات الرواية مع بعضها في ذلك الفضاء الجغرافي/ الهندسي، ممَّا تسبَّب في وقوع نوع من الاضطهاد على شخصيتي: لين ومالك، لتعارض فكرهما مع الفكر السائد في بيئتهما، وسعيهما لهدم الأُسس التي يقوم عليها المجتمع التقليدي (الخليل ومجيد، 2022: 108).

فعاطفة الحب في الأعمال السردية، غالبًا ما تعدّ من العواطف المعقّدة، إنْ صُوّرت بين طرفين في بيئة اجتماعية صارمة من الناحية العُرفية شبيهة ببيئة "جاهلية"، ممّا يساعد كلّ عناصر السرد الفنية في النص الأدبي بالتطوّر وبإبراز ملامحها الفكرية والنفسية بوضوح، بسبب تفاعلها الكثيف مع تلك العاطفة الخارجة عن سياقها المحدد من الناحية التقليدية - كما تصورها الرواية - وقد يسبَّب ذلك نوعًا من الصراع بين مختلف العناصر السردية، وخصوصًا بين شخصيات النص السردي؛ وهذا يؤدِّي إلى اتّسام العمل الروائي بالحيوية. لذا يتجاهل بعض الكُتّاب - أحيانًا - التركيز على المظهر الجسدي/ الخارجي لشخصيات أعمالهم الروائية، مكتفين التركيز على البعد النفسي وربما الاجتماعي لإظهار البعد الفكري الذي تتضمّنه تلك الشخصيات، من خلال تفاعلها مع ما تمثّله بعض العواطف الإنسانية مثل عاطفة الحب بالنسبة لكل شخصية في النص الروائي، على حسب قناعاتها ضمن المجتمع المُصور في النص الأدبي، وهو ما نلمسه في رواية "جاهلية" (كريس، 2009: 33-47/ 193-198).

ويمكن توضيح، كل ما ذُكر أعلاه، عن طريق تحليل علاقات لين - البطلة - مع الشخصيات السردية التي احتكت بها في "جاهلية"، وهي الآتية:

- علاقة لين بالمرأة، (الأم):

المقصود بهذه العلاقة، علاقة لين بوالدتها، التي تتخذها الدراسة نموذجًا على علاقة المرأة بالمرأة، وتُصوَّر في الرواية بكونها علاقة تخلو من أيِّ نوع من الحميمية، حيث ينحصر اهتمام الأم بابنها فقط، والكاتبة من خلال تناولها لعلاقة البطلة بأُمّها تصوُّر أنَّ "نضال المثقّفات ليس، فقط، ضد إرادة الرجال، لكن، أيضًا، ضد الأمهات الأميّات اللواتي كُنَّ أنفسهن عرضة لأسوأ أعمال العنف" (الرشيدي، 2016: 311). لهذا السبب تبدأ الرواية في لحظة الحاضر من الناحية الزمنية المرتبطة بالبناء السردي للحكاية، بإيراد الحدث الأخير في بداية القصة، الذي يصوِّر وضع هاشم نفسيًّا بعد اعتدائه على مالك؛ لتوضيح طبيعة العلاقة التي

تربط الأم بابنها؛ فكانت - الأم - بعد حادثة الاعتداء على مالك، تحاول احتواء ابنها - هاشم - وطمأنته، بغض النظر عن الجرم الذي ارتكبه (الجهني، 2007 : 8)؛ ممَّا يؤكِّد فكرة تفضيل الأم لابنها على ابنتها، مهما ارتكب ابنها من أفعال مشينة علمًا أنَّ فكرة التمييز بين الجنسين هي أمر تواضع عليه المجتمع، فهو إنشاء اجتماعي ليس إلا (الخليل ومجيد، 2022: 117).

تُصوّر الحكاية للقارئ، من وجهة نظر البطلة في هذا الجزء الخاص بها، بعد حادث اعتداء أخيها على مالك، عن طريق صوت السارد العليم المحايد، غير المشارك في الأحداث لكونه خارج النص الروائي، ممَّا يعني أنَّه ساردٌ ضمنيٌّ (خليل، 2010: 81-82)؛ وهو - السارد - يتمتَّع بمعرفة موازية لمعرفة الشخصية السردية بأحداث القصة (بوعزة، 2010: 79)، وذلك بهدف الإيحاء للقارئ أنَّ الصوت المسموع في النص السردي، إنَّما هو أقرب لأنْ يكون تابعًا لصوت الشخصية السردية، حيث يبدو تماهي السارد مع شخصية لين في هذا الجزء من الرواية، واضحًا، لمنح الشخصية السردية مساحة تمكّنها من الظهور. ويتحقق ذلك باستخدام أسلوب الاسترجاع في النص الروائي (بوعزة، 2010: 88-90)، المقرون بمشاهد حوارية ووقفات وصف مرتبطة بلين وهاشم وأمهما (بوعزة، 2010: 94-98)، لتصوير العلاقة الوثيقة بين الأم وابنها، مقابل تصوير تهميش الأم لوجود ابنتها في حياتها (الجهني، 2007: 20-21 /88-92). وتأخذ الأحداث في "جاهلية"، بالتطور إلى أنْ تحدث بين لين ووالدتها مواجهة في المستشفى عند زيارة لين مع والدها لمالك، تمكّن - تلك المواجهة - كل واحدة منهما التعبير عن قناعاتها في الحياة ضمن مجتمعهما؛ ليتَّضح من هذه المواجهة طبيعة العلاقة النديّة بين الأم وابنتها (الجهني، 2007: 73-75)؛ فتستعين الروائية لتصوير ذلك بتقنية المشهد، وهو مقطع حواري يتوقّف السرد فيه، ويسند السارد الكلام إلى الشخصيات السردية في النص لتتحاور مباشرة، معبّرة عن مشاعرها وأفكارها (بوعزة، 2010: 94-95). ويتَّضح للقارئ، أيضًا، من خلال مشهد المواجهة بين لين ووالدتها التفاوت الموجود بين جيلين مختلفين من الناحية الفكرية، فلين تنتمي إلى الجيل المتصف بالحداثة من الناحية الفكرية، مقارنة بوالدتها المنتمية إلى الجيل التقليدي، المتمسّك بالقيم القَبَليّة الذكوريّة القديمة؛ ممَّا يجعل البطلة تسعى إلى حياة مختلفة عن حياة والدتها، قوامها القيم الثقافية الحديثة، التي أساسها المساواة بين الناس؛ لذا فإنَّ البطلة تعدّ شخصية سردية تعبّر عن فكر إيديولوجي مخالف للذي تعبّر عنه شخصية الأم في النص، إلى حد التضارب (Bakhtin, 1997:78). ويتبيّن للقارئ، أنَّ لين تتفهَّم سبب ابتعاد أُمّها عنها، فهي - لين - تدرك أنَّها تنتهج نهجًا مخالفًا لوالدتها في الحياة، لانصرافها إلى الدراسة والحياة المهنية، وهو ما لا تستوعبه الأم (الجهني، 2007: 114)؛ وتناقش البطلة ذلك من خلال الاستعانة بتقنية الوقفة، التي تُؤدَّى بأسلوب الاسترجاع، وهو أسلوب تقني في السرد يهدف إلى منح البطلة حيّزًا خاصًّا بها يمكّنها متأملة من وصف طبيعة حياتها التي انتهجتها، في مقابل نظرة والدتها إليها، وذلك لتصوير الاختلاف الفكري بين الشخصيتين السرديتين (Seymour, 1980: 64/74)؛ لكن اختلاف لين الفكري، الذي يُعدّ متميّزًا لحداثته لم يشفع لها عدم التعرّض للاضطهاد في ظلّ سلطة مجتمعها الذكوري، الذي تمثّله شخصية والدتها بكلّ قيمه السلبية، وبذلك تمكّنت البطلة من استيعاب حقيقة أنَّها ليست بأفضل حال من الفتيات والنساء اللواتي تولّت هي أمر رعايتهن في دار الرعاية حيث تعمل، فوضعها شبيه بوضع شرف ومزنة، اللتين قابلتهما في عملها بدار الرعاية (الجهني، 2007: 80-84). فلين تمثِّل الكثير من البطلات الموجودات في الروايات والقصص العربية، اللواتي يعبّرن عن "انفصالهن عن أمهاتهن ... ورفضهن [لثقافة أمهاتهن]، المثقلة بالقيم الذكورية" (وهابي، 2016: 123)، وهنّ فئة من النساء - ممن تنتمي إليهن البطلة - يجسدن واقع المرأة في الكثير من المجتمعات العربية المعاصرة، مهما كان انتماؤها الاجتماعي.

- علاقة لين بالرجل:

والمقصود بعلاقة لين بالرجل، علاقتها بكلِّ الرجال الموجودين في محيطها، أيْ بكلِّ من: أبيها، وأخيها، ومالك؛ ويمكن تقييم علاقة لين بكلِّ شخصية من الشخصيات المذكورة وَفْقَ تمسُّك تلك الشخصية في النص السردي بقيم المجتمع الذي تنتمي إليه؛ وهو مجتمع ذكوري يقوم على سُلطة الأب، الذي يستمدُّ سلطته في مجتمعاتنا العربية من طبيعة الانتماءات القَبَليّة، التي يدين بها الإنسان العربي؛ فالنظام القَبَلي التقليدي في المجتمعات العربية هو "الذي يجعل من العائلة حجر الزاوية في البنية الاجتماعية، التي تفترض أنَّ بنية القبيلة هي كلٌّ لا يمكن تجزئته، باعتبارها عائلة موسعة، أو مجموعة من العشائر التي تكوّن القبيلة، [و...] تعزِّز كيانها بسيطرة مزدوجة: سيطرة الأب على العائلة، وسيطرة الرجل على المرأة، بحيث يبقى الخطاب المهيمن هو خطاب الأب وأمره وقراراته" (الحيدري، 2003: 313-314)، ولأنَّ النظام القَبَلي يعدُّ نظامًا تقليديًّا، فهو -أيضًا- مناهضٌ لروح الحداثة والتقدّم (الحيدري، 2003: 310). وهذا يشير إلى وجود مشاكل اجتماعية كثيرة في المجتمعات العربية، بسبب عدم مواكبتها لروح الحضارة الحديثة، التي تسمح بوجود مرونة في العلاقات الإنسانية، داخل البنى الاجتماعية المكوّنة لأي مجتمع. وستناقش الدراسة طبيعة علاقة البطلة في "جاهلية"، بالرجال الذين تحتك بهم، وَفقَ الآتي:

- علاقة لين بوالدها:

تُصوّر علاقة لين بوالدها في النص الروائي عن طريق صوت السارد العليم المحايد غير المشارك، الضمني في الرواية، المعتمد في رؤيته على رؤية موازية لرؤية الشخصية الروائية تجاه المواقف (خليل، 2010: 81-82 ؛ بوعزة، 2010: 79)، أيْ أنَّ السارد "لا يقدم للمروي أو القارئ معلومات أو تفسيرات إلّا بعد أنْ تكون الشخصية نفسها قد توصَّلت إليها" (بوعزة، 2010: 79)؛ ويحدث ذلك في النص الروائي بطريقتين: أنْ يصوِّر السارد تلك العلاقة عن طريق عرضها من منظور لين (الجهني، 2007: 50-55/51- 66/56-71/76-95/74)، ومن منظور والدها (الجهني، 2007: 123-132). والأسلوب المتّبع في النص السردي لتوضيح صورة علاقة والد لين بابنته، هو - في أغلبه - أسلوب يعتمد على الاسترجاع (بوعزة، 2010: 88-90)، المصاحب لتقنية المشهد المعتمد على الحوار ما بين الشخصيات الروائية، والوقفة المعتمدة على الوصف والتأمّل المرتبط بالشخصية السردية (بوعزة، 2010: 94-98). والهدف من اتباع السرد لأسلوب الاسترجاع المصحوب بتقنيتي المشهد والوقفة، هو إبطاء الإيقاع السردي لإبراز فكرة معينة متضمّنة في بعض المواقف السردية (بوعزة، 2010: 94)؛ وتتمثَّل الفكرة الأساسية المعبَّر عنها في تلك المواقف طبيعة علاقة لين بوالدها من حيث متانتها، فتُصوّر محاولات الأب لحماية ابنته من علاقتها بمالك، حتى لا يُلحِق المجتمع بها أيَّ سوء، لمعرفة الأب بطبيعة العقلية المتعنتة التي يتّسم بها مجتمعهم؛ وهو عندما يسعى لفعل ذلك، يحاول تحقيقه دون أنْ يفرض رأيه على ابنته بالقوة، وإنَّما يحاول إقناعها بوجهة نظره. وممَّا يدلُّ على تعاطفه مع لين احترامه لها، مع إدراكه أنَّه أعجز من أنْ يحدث تغييرًا اجتماعيًّا حقيقيًّا في مجتمعه بتحديه لنظمه. فتتأكَّد طبيعة شخصية الأب الضعيفة في مواجهة مجتمعه، من مواقفه مع ابنته بخصوص علاقتها بمالك، ولا سيَّما عندما جاءه مالك خاطبًا لين منه؛ حيث بيّن الأب - لمالك - أسباب رفضه لزواجهما (الجهني، 2007: 123-132). كما تتأكَّد متانة علاقة والد لين بها وتفهمه لها، عندما وافق على اصطحابها لزيارة مالك في المستشفى (الجهني، 2007: 50-55/51-66/56-67)، وكذلك، في تصدِّيه لزوجه ووقوفه إلى جانب ابنته عندما داهمتهما الأم في المستشفى (الجهني، 2007: 71-74). ممَّا يثبت أنَّ والد البطلة، كان يعاملها بأسلوب ميّزها عن كثير من فتيات مجتمعها، لتعلّقه بها واحترامه لإنسانيتها، ممَّا

يرمز إلى احترامه للمرأة بشكل عام، بشرط ألّا يتعارض ذلك الاحترام مع القيم الذكورية القوية السائدة في المجتمع (الجهني، 2007: 95 /123-129). وهذا يوضِّح اختلاف والد لين عن والدتها في نظرته إلى التقاليد المفروضة عليهم، فهو لم يفضِّل ابنه لمجرد كونه ذكرًا على ابنته (الجهني، 2007: 30-31)؛ فشخصية الأب في "جاهلية"، تمثِّل الفئة المنتمية إلى جيله المتفتحة من الناحية الثقافية، إلَّا أنَّها أعجز من أنْ تتَّخذ أيَّ موقف إيجابي تجاه بعض القضايا الاجتماعية المهمة، لضعفها أمام سلطة الأعراف والتقاليد في المجتمع (Bakhtin, 1997: 85)؛ الذي بقيت فيه -المجتمع- "تقاليد وأعراف الجاهلية قبل الإسلام" (الرشيدي، 2016: 328). ممَّا يعني أنَّ تحلِّي الأب بتلك الشخصية المتفهمة تجعله يتميَّز عن شخصية والدة لين - زوجه - المتمسِّكة بالتقاليد؛ بأسلوب إيجابي من الناحية الفكرية المرتبطة بالقيم الإنسانية، فهو يتحلَّى بأخلاقيات مناقضة لأخلاقيات أم ولديه (Bakhtin, 1994: 85).

يتمسَّك والد لين، بأداء دوره تجاه ابنته وهو دور المرشد، الذي يقودها إلى بر الأمان، بتوضيحه لها السلبيات الاجتماعية، التي ما يزال المجتمع يرزح تحت نيرها (Bakhtin, 1997: 81)؛ ومع توافق شخصية لين لشخصية والدها، إلّا أنَّها تستمر في محاولة تحدّيها لنُظم مجتمعها الصارمة، عن طريق إصرارها التمسُّك بعلاقتها مع مالك، دون الاسترشاد بتوجيهات والدها، على أمل منها إحداث تغيير إيجابي في ذلك المجتمع (Bakhtin, 1997: 87). إذن، يمكن القول: إنَّ علاقة لين بوالدها، سارت في مسارها وسياقها الاجتماعي الطبيعي، من حيث تصويرها للألفة الطبيعية المفترضة بين الأب وابنته، مستبعدة مفاهيم قهر الفتاة واضطهادها لمجرد كونها أنثى (واصل، 2018: 144-145)؛ وإنْ لم يستطع والد لين أنْ يحقِّق لابنته العدالة التي تطمح إليها، بسبب ضعفه أمام الأعراف السائدة في مجتمعه (الجهني، 2007: 123/126/129/131-132).

- علاقة لين بأخيها هاشم:

تُصوَّر، طبيعة علاقة لين بأخيها، كذلك، عن طريق صوت السارد العليم المحايد غير المشارك، الضمني، (خليل، 2010: 81-82)، المعتمد في رؤيته - للأحداث ولبقية الشخصيات السردية - لرؤية توازي رؤية الشخصية السردية التي يعبّر - السارد - عن وجهة نظرها في الموضوع (Genette, 1983: 227)؛ بمعنى أنَّ السارد "في هذه الحالة يعرف ... بقدر ما تعرف الشخصية الروائية" (بوعزة، 2010: 79). ويتحقَّق ذلك في "جاهلية"، فيما يختص بالتعبير عن منظور هاشم، في المواضع الآتية: (الجهني، 2007: 12/17-24/36-39/53-54/92-94/120)؛ وذلك بانفتاح اللحظة الراهنة في الزمن الحاضر على الماضي، فالموقف الأول، الذي يطالع القارئ في الرواية يبدأ بعد انتهاء الحدث الرئيس في الحكاية (Seymour,1980:43-45)، المتمثِّل في فعل اعتداء هاشم - بمساعدة تلقاها من صديقه - على مالك (الجهني، 2007: 12)، لتعرض على القارئ بعد ذلك عدة مواقف من الماضي عن طريق تقنية "الاسترجاع أو التذكّر من خلال ذاكرة منفتحة على الماضي" (ضرغام، 2010: 33) - كما سبق وأن ذُكر- تقدّم تفسيرًا جديدًا أكثر وضوحًا للأحداث، ولا سيَّما عند استخدام تقنيتي المشهد والوقفة (بوعزة، 2010: 94-98)، حيث يتَّضح للقارئ طبيعة القيم الأخلاقية الموجودة في المجتمع التي تؤكِّد فكرة أنْ تكون المرأة خاضعةً لسطوة الرجال ومطيعة لأوامرهم وإراداتهم، فقط (الخليل ومجيد، 2022: 123). ويُجسّد ذلك، من خلال المواقف التي ربطت هاشم بأخته فيما يختص بعلاقتها مع مالك؛ حيث تحتوي تلك المواقف على نظرة المجتمع الدونية، التي ندركها من وجهة نظر هاشم إلى: الإنسان الغريب عن المجتمع لاختلاف أصوله العرقية - ولا سيَّما إذا كان أسود البشرة - وإلى المرأة في الوقت نفسه.

فالرواية تصوُّر هاشم في مواقف يُعلي فيها من شأن نفسه لمجرد كونه رجلًا، مع فشله في الحياة الدراسية والمهنية وسوء ممارساته الأخلاقية، فهو بذلك يختلف عن أخته الجادّة الناجحة المستقيمة. وممَّا يقوِّي موقفه - هاشم - ضدّ أخته لين، مساندة والدته له، وهذا يجعل هاشم يستهجن موقف والده السلبي منه، من حيث تفضيل الوالد للين عليه (الجهني، 2007 : 17-24 /36-39 /53-54 /92-94 /120). وهذا يؤدّي إلى أنْ تكون شخصية هاشم، رمزًا للفكر التقليدي السائد في كثير من المجتمعات العربية، ولا سيَّما المؤسَّسة على النظام القَبَلي؛ ممَّا يؤهله - هاشم - أنْ يكون شخصية سردية نمطية (Bakhtin, 1997: 90-91)؛ وفي مقابل ما يمثِّله هاشم يُواجه القارئ بلين، التي تمثِّل الرغبة في التغيُّر إلى الأفضل بهدف التطوّر (Bakhtin,1994:85/95)، وانطلاقًا من هذا التناقض الفكري الذي تمثِّله الشخصيتان السرديتان في مقابل بعضهما، يتشكَّل الصراع الدائر بينهما؛ ليُجسّد العنف - من قبل هاشم - الذي تسبَّب في إيذاء مالك جسديًّا والبطلة نفسيًّا؛ لردع أيِّ نوع من التغيير المخالف لعرف المجتمع القبلي.

- علاقة لين بمالك:

تُصوَّر علاقة لين بمالك عن طريق السارد العليم المحايد، غير المشارك، الضمني في نص الرواية (خليل، 2010: 81-82)، وهو يعتمد في رؤيته للأمور، على رؤية موازية لرؤية الشخصية السردية (بوعزة، 2010: 79)، أيضًا، "فالسارد يكون مصاحبًا للشخصية ... التي يتبادل معها المعرفة بصيرورة الأحداث" (بوعزة، 2010: 80)؛ فتعرض الأحداث من منظور مالك، وهو منظور يبدأ من الحدث الأخير في الرواية، أيْ من نهايتها، ويحدث ذلك، باستحضار اللحظة الراهنة في الحاضر المرتبطة بوقوع الاعتداء الجسدي على مالك (الجهني، 2007 : 11-13)، وتتَّسم تلك اللحظة، كذلك، بالانفتاح على الماضي، لتساعد القارئ على فهم الحدث عن طريق العودة إلى الماضي للإحاطة بالدوافع الحقيقية لوقوعه (ضرغام، 2010: 33)، بمساعدة أسلوب الاسترجاع (بوعزة، 2010: 87-90)، الذي بفضله نتمكَّن - قرّاءً - من الإلمام بأدق أحداث الحكاية في "جاهلية"، وخاصَّة أنَّ أسلوب الاسترجاع يأتي مصحوبًا بتقنيتي الوقفة والمشهد (بوعزة، 2010: 94-98)، اللذين يوضحان الظروف المحيطة بلين ومالك في مجتمعهما، كما سيتَّضح من الأمثلة التي ستذكر في هذا الجزء من الدراسة. فمشكلة مالك، تكمن في بشرته الداكنة بسبب أصوله الإفريقية، وفي كون والده من المهاجرين الأفارقة المسلمين، الذين قرَّروا الاستقرار في المدينة المنورة بعد أداء فريضة الحج، ممَّا يفسِّر سبب عدم تمكُّن ذريته من بعده، من الحصول على الجنسية المسمَّاة بصكِّ الغفران؛ وهذا الموقف يظهر طبيعة الثقافة المتجذّرة في الفضاء الجغرافي الخاص بالمدينة المنورة، وهي ثقافة مناقضة لتصوُّرات والد مالك المهاجر، فالتصوُّر الذي كان موجودًا بذهنه كان مرتبطًا بالقيم الإسلامية المبنية على أساس المساواة والعدالة بين الناس بمختلف أصولهم (الجهني، 2007 : 139-140)؛ وتلك الثقافة السلبية المؤسَّسة على العنصرية المتجذّرة في ذلك الفضاء الجغرافي، هي التي أدَّت إلى تشكّل أحداث الحكاية من الناحية السردية، بطريقة تسبَّبت في اضطهاد مالك ولين (Moretti, 1997: 29-32). وقد دفع إدراك مالك لطبيعة الثقافة السلبية الموجودة في ذلك المجتمع إلى إصراره بمكاشفة لين بحقيقة عرقه منذ بداية تعارفه بها (الجهني، 2007: 156)، وإلى محاولة استكماله لأوراق إقامته ليحصل على صك الغفران، بكلِّ ما في هذه التسمية من إيحاءات سلبية، تشير إلى وجود نزعة عنصرية في المجتمع، فكأنَّ مَن لا يمتلك الجنسيَّة لا يستحقُّ المغفرة بسبب اختلافه عرقيًّا عن السائد في المجتمع (الجهني، 2007: 103-120؛ الحازمي،2018: 79-82).

يتجلَّى اضطهاد المجتمع لمالك في أوضح صوره، من خلال أسلوب تعامل الناس معه، الذي كان مبنيًا على أساس لون بشرته، الدال على عدم انتمائه للمجتمع الذي وُلد ونشأ فيه، ويتجسَّد ذلك من خلال موقف: والد لين عند خطبته لها، وصديقه حسام، وإقبال السائق الباكستاني، والشرطي الذي أوقفه وهو يقود سيارته، والموظف في الوزارة عندما كان يحاول استخراج الجنسية؛ فكلّ هؤلاء يحملون إيديولوجيا عنصرية تصوِّر البشر الملونين بوصفهم أدنى مرتبة وعقلًا منهم (كولينز، 2013: 12)، إضافةً إلى تحذيرات والدته - والدة مالك - له من الارتباط بأيٍّ من بنات العرب تجنبًا للتصادم مع المجتمع (الجهني، 2007: 136-171).

تدلُّ كلُّ المواقف، التي مرَّ بها مالك أنَّ شخصيته ترمز إلى الإنسان المناضل الراغب في تغيير واقعه إلى الأفضل؛ وهي شخصية سردية تصوّر للقارئ محيطها بشكل دقيق عن طريق تفاعلها مع كلِّ ما يوجد في بيئتها (Bakhtin, 1994: 99)، وهذا يؤكِّد فكرة أنَّ شخصية مالك في "جاهلية" جاءت مساندة للين، فقد عبرت الشخصيتان عن قيم إنسانية مخالفة لما كان سائدًا في المجتمع الذي وُجدا فيه، وانطلاقًا من اختلافهما الفكري نسجت حكاية "جاهلية".

- الخاتمة:

يرتبط البناء السردي للشخصيات والأحداث برؤيا الكاتب، فالعالم الذي يريد التعبير عنه الأديب هو عالم خاص يأخذ من الواقع كما يأخذ من الخيال، لكن إسقاطات هذا الواقع تكون واقعية في الحالات كلها، لأنها تحاكي مشاكل المجتمع بكل صفاته النفسية والقيمية، وتعد ثيمة الاضطهاد من أهم الأنساق الثقافية المرتبطة بنفسية المجتمع وطبيعة تعامله مع الأمور المصيرية؛ فهذا ما توصل إليه البحث في معالجة فكرة الاضطهاد في الرواية من منظور النسق الثقافي وتحليل الخطاب السردي، متوصلاً إلى النتائ ج الآتية:

- ترابط عتبات النص الروائي ببعضها، وتوافقها من حيث المضمون مع الاقتباسات الإخبارية والتراثية والأدبية الواردة في الرواية.

- توافق وترابط البنية السردية في الرواية مع بعضها، من حيث بناؤها الفني، ممَّا مكَّنها من تصوير مضمون الرواية بدقة وفنية عالية.

- تمكّن كلّ شخصية سردية من تصوير الفكرة التي تؤمن بها، وكيفية تفاعلها مع محيطها، ومن ثَمَّ طبيعة تطوّرها النفسي والفني بوضوح.

- التأكيد على استقلالية الشخصية السردية في رواية "جاهلية" بعوالمها المتنوِّعة من تحكُّم المؤلفة، حيث لا تستخدمها بوقًا لترديد ما تؤمن به من أفكار.

- تأكيد استمرارية الجاهلية الأخلاقية والفكرية في عصرنا، بسبب انتشار مفاهيم اجتماعية منافية للفكر الإنساني والديني في بعض مجتمعاتنا العربية، ممَّا يؤدِّي إلى تفشِّي ظاهرة الاضطهاد بين فئات المجتمع الواحد.

ـ المصادر والمراجع باللغة العربية:

- أحمد قاسم، سيزا، (1984)، *بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- أشبهون، عبد المالك، (2009)، *عتبات الكتابة في الرواية العربية*، الطبعة الأولى، دار الحوار، اللاذقيّة.

- البازعي، سعد، (2009)، *سرد المدن: في الرواية والسينما*، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ بيروت.

- ---------، --------، (2020)، *مصائر الرواية*، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت/ عمّان.

- ---------، ------ والرويلي، ميجان، (2017)، *دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا*، الطبعة السادسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.

- بحراوي، حسن، (2009)، *بنية الشكل الروائي: الفضاء/ الزمن/ الشخصية*، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.

- بوعزة، محمد، (2010)، *تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم*، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ بيروت.

- ثامر، فاضل، (2004)، *المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي*، الطبعة الأولى، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق/ بيروت/ بغداد.

- الجهني، ليلى، (2007)، *جاهلية*، الطبعة الأولى، دار الآداب، بيروت.

- الحازمي، حسن حجاب، (2018)، *النص والنص الموازي: قراءة في رواية جاهلية لليلى الجهني*، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض.

- حسين حسين، خالد، (2007)، *في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية*، دار التكوين، دمشق.

- الحيدري، إبراهيم، (2003)، *النظام الأبوي: وإشكالية الجنس عند العرب*، الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت.

- خليل، إبراهيم، (2010)، *بنية النص الروائي: دراسة*، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ بيروت.

- الخليل، رعد عبد الجليل مصطفى ومجيد، حسام الدين علي، (2022)، *في النظرية السياسية النسوية: البنى الفكرية والاتجاهات المعاصرة*، سلسلة عالم المعرفة، أبريل العدد 493، الكويت.

- الخولي، يمنى طريف، (2005)، *النسوية وفلسفة العلم*، عالم الفكر/ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج: 34 /ع: 2 (أكتوبر- ديسمبر)، الكويت.

- الرشيد، مضاوي، (2016)، *الدولة الأكثر ذكورية: المرأة بين السياسة والدين في السعودية*، الطبعة الأولى، ترجمة: صبا قاسم، مراجعة: محمد مظلوم، دار الجمل، بغداد/ بيروت.

- سارتر، جان بول، (2012)، *الوجودية منزع إنساني*، الطبعة الأولى، تعريب: محمد نجيب عبدالمولى وزهير المدنيني، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ تونس.

- ضرغام، عادل، (2010)، *في السرد الروائي*، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ بيروت.

- العباس، محمد، (2009)، *مدينة الحياة: جدل في الفضاء الثقافي للرواية في السعودية – دراسة نقدية*، دار نينوى، دمشق.

- عثمان، عبد الفتاح، (1982)، *بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية*، مكتبة الشباب، القاهرة.

- الغذامي، عبدالله، (2014)، *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، الطبعة السادسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.

- جوف، فانسون، (2012)، *أثر الشخصية في الرواية*، الطبعة الأولى، ترجمة: لحسن أحمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق.

- كريس، نانسي، (2009)، *تقنيات كتابة الرواية: تقنيات وتمارين لابتكار شخصيات ديناميكية ووجهات نظر ناجحة*، الطبعة الأولى، ترجمة: زينب تاجر إدريس، مراجعة: مركز التعريب والبرمجة، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم/ الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

- كولينز، هل باتريشيا، (2013)، *"كل شيء في الأسرة: تقاطعات الجنوسة والعرق والقومية"* في: *نقض مركزية المركز: الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات*، تحرير: هاردنغ، أوما ناريان وساندرا، ترجمة: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، يناير العدد 396، الكويت، الجزء الثاني، (ص: 7-34).

- ليبيهان، جيل، (2002)، *"النسوية والأدب"*، في: *النسوية وما بعد النسوية*، الطبعة الأولى، تحرير وتأليف: جامبل، سارة، ترجمة: أحمد الشامي، مراجعة: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ص:195-208).

- مانفريد، يان، (2011)، *علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد*، الطبعة الأولى، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق.

-المرنيسي، فاطمة، (2010)، *"خلاصة: تحرر المرأة في البلدان المسلمة/ ما وراء الحجاب: ديناميات الذكر- الأنثى في المجتمع المسلم الحديث"* في: *النظرية النسوية: مقتطفات مختارة*، الطبعة الأولى، تحرير: كولمار، ويندي كيه. وبارتكوفيسكي، فرانسيس، ترجمة: عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق: عماد عمر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان/ بيروت، (ص: 226-235).

- معلوف، أمين، (1999)، *الهويّات القاتلة*، الطبعة الأولى، دار النهار للنشر، بيروت.

- النصير، ياسين، (2015)، *مدخل إلى النقد المكاني: الخطاب/ الحدود/ المألفة/ التفضي/ الموضعة/ المابين/ المسافة/ الاستعارة/ الكفاءة*، الطبعة الأولى، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.

- واصل، عصام، (2018)، *الرواية النسويّة العربية: مساءلة الأنساق وتقويض المركزيّة*، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان.

- وهابي، عبد الرحيم، (2016)، *السرد النسوي العربي: من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية*، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان.

- المراجع باللغة الإنجليزية:

- Bakhtin, Mikhail, (1997), *Problems of Dostoevsky's Poetics*, seventh printing, edited and translated by: Carl Emerson, Introduction by: Wayne C. Booth, University of Minnesota Press, Minneapolis/ London.

- Barker, Chris, (2004), *Cultural Studies: Theory and Practice*, second edition, foreword by: Paul Willis, Sage Publications, London/ Thousand Oaks/ New Delhi.

- Chatman, Seymour, (1980), *Story and Discourse: Narrative Structure in Fiction and Film*, Cornell University Press, Ithaca/ London.

- Eagleton, Terry, (2003), *Sweet Violence: the Idea of the Tragic*, Blackwell Publishing, Malden/ Oxford/ Melbourne/ Berlin.

- Genette, Gerard, (1983), *Narrative Discourse: an Essay in Method*, translated by: Jane E. Lewin, foreword by: Jonathan Culler, Cornell University Press, Ithaca/ New York.

- Moretti, Franco, (1999), *Atlas of the European Novel (1800-1900)*, Verso, London/ New York.

- Rivkin, Julie & Ryan, Michael, (2001), *"Introduction: Feminist Paradigms"* in: *Literary Theory: an Anthology*, revised edition by: Julie Rivkin & Michael Ryan.

The Polemic of Oppression in the Novel of "Jahiliya" by Laila al-Jahni:

Dr. Sana Tahir al-Jamali
Assistant Professor in The Department of Arabic Language and Literature
at The College of Arts and Social Science
at Sultan Qaboos University

Abstract

This Study has chosen "Jahiliya" novel, by the Sudi writer Laila al-Jahni, because it tackles an important issue, which is wide spread in the Arabian communities and that is the theme of oppression against certain social classes, during our contemporary time. The approach of this study in dealing with the novel's context was by applying the theories of Cultural Studies, that are connected to the Feminism and Ethnic stream. In addition, to applying the approach of the French scholar Gerrard Genette in analyzing the discourse of the narrative by breaking down its elements, of which the text of the novel is constructed upon. The study merges, at the same time, the above mentioned two theories with the theory of Polyphony in narrative, by the Russian Scholar Mikhail Bakhtin. This study is constructed as follows: introduction that explains the importance of this study, synopsis of the novel, with an illustration of the theories that are used by this study, the analysis of the novel's context by breaking down the components of the narrative, and conclusion that sums-up the results of the study. The study comes into terms with these results: harmony of the narrative text and accord of its content, is evident in its quotes, unison and the correlation of the narrative's creative structure in the novel, the ability of every character in the text to illustrate their ideas, the author stresses the independence of the characters from her influence, and the confirmation of the continued moral ignorance in our times, which is based on the widespread of misguided notions, in our Arab Societies.

Key words: Ethnicity, The narrative character, Oppression, Threshold, Feminism.